معارضات قصائد

ابن زيدون



الدكتور عدنان محمد غزال

معارضات قصائد ابن زيدون

الدكتور عدنان محمد غزال

الناشر

مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

الكويت 2004

معــارضـــات قصائد

ابـــن زيــــدون

الدكتور عدنان محمد غزال

الكويــت

2004

أشرف على طباعة هذا الكتاب وراجعه الباحث

بمؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

ماجد الحكواتي

الصف والإخراج والتنفيذ

محمـد العلـي

أحـمـد مـتـولي **أحـمـد جـاسم**

قسم الكمبيوتر في الأمانة العامة للمؤسسة

ردمـــك: ISBN : 99906 -72- 12 - 1

رقم الإيداع : Depository Number: 2004 / 00293

W□□RLK□ W□uH□□ 1□D□˙ □uI□

مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

هاتف: 2430514 **فاكس:** 2455039 (00965)

E-mail < Kuwait@albabtainpoeticprize.org >

الكويـت 2004

تصديـــر...

تتابع المؤسسة منذ عقد ونصف مسيرتها في حقل الشعر الممتع، وهي تحاول أن تقدم الجديد وأن تتجاوز نفسها باستمرار صعودًا إلى أفق يصبح فيه الشعر ضرورة للإنسان العادي وليس شاغلاً للنخبة الثقافية وحدها.

وإذا كانت إصدارات المؤسسة الشعرية قد توزعت سابقًا في مسارين هما: ديوان الشعر، والمختارات الشعرية، فإن المؤسسة في هذا الإصدار تقدم لونًا جديدًا لأول مرة، وهو اختيار بعض قصائد الشاعر الكبير ابن زيدون وما أثارته خلال تسعة قرون من أصداء شعرية على اتساع الأرض العربية، وتم جمع القصائد الأصل، والقصائد الصدى في كتاب واحد لتكون هذه القصائد باقة متناسقة أمام نظر القارئ المتذوق.

وقد توخينا من هذا الجمع هدفين: الأول أن نلفت نظر القارئ - في عهد ما يدعى ما بعد الحداثة كما يتوهم البعض حيث يصبح التراث كلمة ممقوتة لديهم - إلى أن التواصل هو سمة بارزة من سمات الشعر العربي، وأنّ الشعراء وعلى مر العصور كانوا ينطلقون من التراث، ومن أصفى ينابيعه لكي يؤسسوا لمنابع جديدة للشعر، وبذلك ندرك أنه لا يمكن لأي شاعر - مهما أوتي من موهبة - أن يلغي من حسابه هذا المخزون الهائل من الشعر الذي خلفه لنا الأسلاف وجسدوا فيه قسماتهم وأودعوه وصيتهم إلينا، وأن يبدأ من فراغ أو من تراث أمة أخرى، فالتراث ليس مادة محايدة، بل هو الأمة مجسدة في كلمات، وأن إنكار هذا التواصل ليس عقوقًا للأجداد فحسب، بل هو حرف للمخيلة الشعرية عن تطورها السليم.

والهدف الثاني أن ندرك أن هذا التوافق في الشكل بين الشعراء – في البحر والقافية والموضوع – وهو اتفاق يخيل للبعض أنه يلغي شخصية الشاعر وصوته الخاص لا يحرم الشاعر المبدع من التفرد ومن أن يقول كلمته، وإذا كان الناظم يجد في هذا الشكل الجاهز عكازًا لمخيلته العقيمة تساعده على الانتساب الشكلي إلى هذا الفن العظيم والوقوف على رصيفه، فإن الشاعر الكبير يجد في القواعد المسبقة منطلقًا له، وتحديًا يستثير في أعماقه كل طاقاته المخبوءة، هكذا سنجد في هذه القصائد الوفيرة التي تحلقت حول قصائد شاعر الأندلس الكبير الشاعر الذي يستظل بظل ابن زيدون ويحيل دائمًا إليه، والشاعر الآخر الذي جعل من قصيدة ابن زيدون بداية لقصيدته وليست نهاية لها، والذي نلمس في كل تقاسيم قصيدته لحنه الخاص الذي يذكرنا بمعزوفة ابن زيدون دون أن يرتهن لها، وينسخ إيقاعاتها ولوازمها.

وبذلك ندرك أن التجديد في الشعر ممكن بل ومطلوب انطلاقًا من التراث لا بعيدًا عنه، وأن الشاعر المبدع يعترف بمن قبله من الشعراء تأسيسًا للاعتراف بنفسه، ومن هذا التزاوج والتناغم ينبع كل شعر عظيم.

فإذا استطاعت هذه القصائد أن تؤكد للقارئ الذكي هذين الهدفين فقد بلغنا سؤلنا وله المزيد.

عبدالعزيز سعود البابطين

الكويت في رجب 1425هـ

الموافق أغسطس 2004م

****

معارضات شعره

المعارضة «لغة»:

جاء في مادة (ع ر ض) من معجم العين قول صاحبه فيه: «عارضته بمثل ما صنع: إذا أتيت إليه بمثل ما أتى إليك، ومنه اشتقّت المعارضة. وعارضت فلانًا، أي أخذ في طريق وأخذت في طريق غيره، ثم لقيته. وعارضته بالكتاب إذا عارضت كتابك بكتابه»[١].

وهذا التبيين يكاد تطابقه معظم معاجم اللغة الآخرى، إذ إنها تتفق معه على ما جاء به. وخلاصة ما يقال إنّ المعنى اللغوي للمعارضة يعني المباراة، والمحاذاة والمجاراة للشيء بشيء يشبهه لعلاقة بينهما، وهذا كله مرتبط إلى حدٍّ كبير بالمعنى الاصطلاحي للمعارضة.

المعارضة اصطلاحًا:

ما زال هذا المصطلح يتأرجح بين الباحثين الذين درسوا فن المعارضات، مسوِّغين لآرائهم وتعليلاتهم التي تتفق أحيانًا فيما بينهم وتختلف في مواضع أخرى من أقوالهم، ذلك بأنهم يصدرون عن رؤى خاصة بكل واحد منهم لعدم وجود مصطلح موحّد يتبعونه لكي يوازنوا ويحللوا ما يدور في عقولهم وأفئدتهم.

ولعل أقرب تحديد إلى الصواب – استنادًا إلى استقراء الأخبار التاريخية عما دار بين الشعراء – ما ذكره الأستاذ أحمد الشايب من أنّ المعارضة هي «أن يقول الشاعر قصيدة ما في موضوع ما من أيِّ بحر وقافية، فيأتي الشاعر الآخر فيعجب بهذه القصيدة في منهجها وصياغتها، فيقول قصيدة من بحر الأول وقافيتها، وفي موضوعها أو مع انحراف عنه يسير أو كثير، حريصًا على أن يتعلق بالأولى في درجته الفنية، أو يفوقه دون أن يتعرض لهجائه أو سبّه، ودون أن يكون فخره صريحًا أو علانية.. فالمعارض يقف من صاحبه موقف المقلّد المعجب أو المعترف ببراعته، ومناط المعارضة هو الجانب الفني وحسن الأداء»[٢].

ولا بأس إذا ما ذكرنا رأي الأستاذ محمد الهادي الطرابلسي الذي أورده في أثناء الفصل الأول الذي عقده للمعارضات من كتابه «خصائص الأسلوب في الشوقيات» فقال: «المعارضة ضرب من ضروب نظم الشعر يختص به الأدب العربي، نشأ منذ عصور الحضارة العربية الأولى وكان له روّاد يقل عددهم من عصر إلى آخر أو يكثر بحسب ظروف المنافسة المعنوية أو المادية التي تحفّ بالشعراء، وبحسب طبيعتها تكون المعارضة من باب الموافقة أو المناقضة»[٣].

ويناقش الأستاذ الطرابلسي ما يتصل بها قائلاً: «لم تحظ المعارضة بدراسة تضبط مفهومها وتعيّن أشهر أعلامها وتبحث في سرّ إخصابها في الحضارة العربية دون غيرها من الحضارات وتبين أثرها الفني في التراث العربي.

فرغم كون المعارضة سنة أدبية اتبعها العرب منذ القديم، فإن كل حظّها من العناية أن اكتفي في القديم بالإشارة إلى أشهر نماذجها خاصة في كتب الموازنات أو النقائض، أما في الحديث فلم يتجاوز الدارسون المقارنة السطحية بين نماذج مختلفة من المعارضات القديمة والحديثة، وهم باقون في حدود مفهوم الموازنة القديم، لم تظهر عندهم نزعة إلى ضبط مصطلح أو تدقيق مفهوم»[٤].

ثم يأتي على تساؤل مفاده «ما الذي يدخل في مفهوم المعارضة وما الذي لا يدخل؟ وإذا كان مفهوم المعارضة تطور من عهد إلى آخر: فما هو مقدار تطوره؟ ذلك أننا نتبين من الملاحظات السريعة عند بعض المحدثين أن المعارضة هي أن ينظم الواحد على مثل ما نظم الآخر من القصائد متقيدًا بالموضوع والبحر والقافية سواء وافقه في المعنى أو خالفه، وأنها قد تكون بمخالفة البحر والموضوع أيضًا»[٥].

ويعلل عدم القبول بالمفهوم السابق للمعارضة من خلال قوله: «قد يكون هذا هو مفهوم المعارضة الذي كان لها أو الذي آلت إليه في عهد من العهود ولكنه يبقى مفتقرًا إلى التدقيق والضبط. ولا نستطيع نحن الأخذ به عل كل حال لأن مخالفة الموضوع – وخاصة مخالفة البحر – إذا قامت في مفهوم المعارضة أدخلت كل الشعر العربي في باب

المعارضة، وجردت المعارضة من كل صبغة خصوصية اللهم إلا خصوصية النية، نيّة الشاعر في أن يعارض تلك القصيدة أو تلك، ولكن هذه قضية غير علمية. لذلك نفضل في دراسة معارضات شوقي أن ننطلق مما شاع في حقيقة المعارضة وهو قيامها على الاشتراك في البحر والقافية مع النزعة إلى الاشتراك في الغرض بين القصيدتين، ضمانًا لحد أدنى من التقارب وخوفًا من الوقوع في مضاربات غير مجدية»(٦).

ولابد من الإشارة إلى استنتاج الدكتور محمد فتوح أحمد في مطلع حديثه عن معارضات البارودي حيث يقول: «تتضمن المعارضات في أصلها اللغوي متطورين دلاليين يتكاملان أكثر مما يتفاضلان، نعني بذلك منظوري المماثلة والمقابلة، فهي قد تشير إلى المنظور الأوّل حين نربطها بقولهم عارض الرجل بمثل ما صنع، أي أتى إليه بمثل ما أتى، وقد تشير إلى المنظور الآخر حين نصلها بقولهم: عارض الكتاب بالكتاب أي قابله به، وعارض الشيء بالشيء، أي قابل هذا بذاك، ويمكن أن نمضي على نفس المنوال، فنقول عارض القصيدة بالقصيدة، أي قابلها بها، وعارض البيت بالبيت، أي قابل الأول بالآخر، وهكذا يرتقي كل من المنظورين الدلاليين فيتحولان من مجال الاستخدامات الشيئية المحسوسة، إلى مجال الاستخدامات الإبداعية بعامة، والشعرية منها على وجه الخصوص»(٧).

ولعل أقوال هؤلاء الباحثين تميط اللثام عن هذا المصطلح الذي كثر فيه الأخذ والرد والخلاف، وتجعل الدارس ينطلق إلى الحديث عن أصل المعارضات في الشعر العربي ليكون مدخلاً مناسبًا إلى التعريف بالمعارضات الشعرية التي عارضت شعر ابن زيدون.

أصل المعارضات في الشعر العربي:

أود أن أشير بادئ ذي بدء إلى أن الدارس ليس معنيًا بالتاريخ المفصل للمعارضات في الشعر العربي، لأن حدود البحث لا تجيز له ذلك التفصيل، وإنما سيكتفي باللمعة الدالة والالتفاتة اليسيرة لإعطاء فكرة موجزة أسهب في الحديث عنها غير واحد من

الباحثين الذي يكادون يجمعون على أن منطلق هذا الفن وأوّليته يعودان إلى امرئ القيس في خبرين مختلفين، الأول منهما حين طلب من زوجته – إن صحت الرواية – أن تحكم بينه وبين علقمة بن عَبَدَة (علقمة الفحل) أيهما أشعر فقالت: قولا شعرًا تصفان فيه فرسيكما على رويّ واحد وقافية واحدة. فقال امرؤ القيس: قصيدته التي أوّلها:

خَليليّ مُــرّا بي على أم جُنْدُبِ
لنقضيَ حاجاتِ الفؤاد المعذَّبِ

ثم مرّ فيها منشدًا حتى قوله:

فللسوطِ أُلْهُوبٌ وللساق درّةٌ
وللزّجر منه وَقْعُ أخرجَ[8] مُهْذِبِ

ثم أنشد علقمة بن عبدة قصيدته التي مطلعها:

ذهبتُ من الهجران في كلّ مذهبِ
ولم يكُ حقّاً كلُّ هذا التجنّبِ

ثم مرّ فيها منشدًا حتى قوله:

فَأَدْرَكَهنّ ثانيًا من عِنانه
يَمرُّ كمَرِّ الرائحِ المُتَحَلِّب[9]

فقالت لامرئ القيس بعد أن سمعت منهما: علقمة أشعر منك، قال: وكيف ذلك؟ قالت: لأنك جهدت فرسك بسوطك ومريته[10] بساقك، أما علقمة، فقد أدرك طريدته وهو ثانٍ من عنان فرسه، لم يضربه بسوط، ولا مَرَاه بساق ولا زجره، قال امرؤ القيس: ما هو بأشعر مني، ولكنك له وامق[11]، فطلقها فَخَلَف عليها علقمة، فسمي بذلك «الفحل»[12].

أما الخبر الثاني فهو ما جرى بين امرئ القيس والتوأم اليشكري حين طلب الأول من الثاني، قائلاً: إن كنت شاعرًا فأجز أنصاف ما أقول فقال التوأم اليشكري: قل ما شئت. فيقول امرؤ القيس بضعة أنصاف ويكمل التوأم تلك الأنصاف ويستمران حتى يعجز امرؤ القيس عن إعجاز التوأم، فيلقي سلاحه ويحلف ألا ينازع أحدًا الشعر بعده.

ويعلق الأستاذ علي الجارم مبديًا رأيه بالقول: «وسواء أصحت هذه الرواية أم لم تصح فإنها تصور نازغة غلابة تجيش بنفس كل معتز بفنه»[١٣].

وهذان الخبران يدلان على أنّ هذا الفن – أعني فنّ المعارضات – موغل في القدم. وليست ببعيدة عنا تلك الأخبار المروية عن تفاخر الشعراء الجاهليين واعتدادهم بفنهم الشعري. ولعل خير مثال على هذه الأخبار ما رواه ابن قتيبة في تَرْجمتي ا لنابغة الذبياني والخنساء فقال: «كان النابغة تُضْرَبُ له قبه حمراء من أَدَم بسوق عكاظ، تأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها، فأنشده الأعشى أبو بصير، ثم أنشده حسان بن ثابت، ثم الشعراء، ثم جاءت الخنساء السُّلَميّة فأنشدته، فقال لها النابغة: والله لولا أن أبا بصير أنشدني آنفًا لقلت إنك أشعر الجنّ والإنس، فقال حسان: والله لأنا أشعر منك ومن أبيك ومن جدك! فقبض النابغة على يده، ثم قال: يا بن أخي، إنك لا تحسن أن تقول مثل قولي:

فإنك كالليل الذي هو مُدْركي
وإنْ خِلْتُ أنّ المنتأى عنك واسعُ

ثم قال للخنساء: أنشديه، فأنشدته، فقال: والله ما رأيت ذات مثانة أشعر منك! فقالت له الخنساء: والله ولا ذا خُصْيين!!»[١٤].

وهذا الخبر يصور ما بأذهان الشعراء الجاهليين والمخضرمين من ضروب الاعتداد بفنهم والمباهاة بشعرهم والانفراد بالكمال، فهم لا يريدون أن يروا لهم في أشعارهم ندًا أو مضاهيًا.

ولن أشير إلى رحلة هذا الفن عبر العصور[١٥] فذلك أمر يصعب تحقيقه في هذه العجالة ولكنني سأنتقل إلى المعارضات في الأندلس لصلتها بالشعر المعارض ولأن الشاعر المعارض نشأ في أحضان البيئة الأندلسية الغناء، ولكن المقام يملي على الدارس أن يتوقف عند البيئة العلمية التي رعت الشاعر متعلّما وعالمًا، ثم الانتقال إلى المعارضات في الأندلس فيما بعد.

الحياة العلمية:

إن طبيعة الأندلس بما حباها الله من جمال ورقة كانت مصدر إلهام للشعراء، وليس أدلّ على ذلك من قول القزويني في أهل شلب: «ومن عجائبها ما ذكره خلق لا يحصى عددهم أنّه قل أن يرى من أهل شلب[١٦] من لا يقول شعرًا ولا يتعانى الأدب، ولو مررت بالحرّاث خلف فَدّانه وسألته الشعر لقرض في ساعته أيّ معنى اقترحت عليه، وأيّ معنى طلبت منه صحيحًا!»[١٧].

إن هذا القول يكاد يصدق في مواضع كثيرة من مدن الأندلس التي تغنّى بجمالها شعراؤها ولم يقفوا عند هذا الحدّ بل أخذوا يتحدون مع هذا الجمال فيفرغون ما في نفوسهم عليه.

ولعل رسالة الشقندي في فضل الأندلس على المغرب تعطي صورة واضحة الملامح عما يود الدارس أن يبيّنه، ومنها: «لما ثار – بعد انتثار هذا النظام – ملوك الطوائف، وتفرقوا في البلاد، كان في تفرقهم اجتماع على النعم لفضلاء العباد، إذ نفقوا سوق العلوم وتباروا في المثوبة على المنثور والمنظوم فما كان أعظم مباهاتهم إلا قول العالم الفلاني عند الملك الفلاني، والشاعر الفلاني مختص بالملك الفلاني، وليس منهم إلا من بذل وسعه في المكارم، ونبّهت الأمداح من مآثره ما ليس طول الدهر بنائم وقد سمعت ما كان من الفتيان العامرية مجاهد ومنذر وخيران، وسمعت عن الملوك العربية: بنو عباد وبنو صمادح وبنو الأفطس وبنو ذي النون وبنو هود، كل منهم قد خلّد فيه من الأمداح، ما لو مدح به الليل لصار أضوأ من الصباح، ولم تزل الشعراء تتهادى بينهم تهادي النواسم[١٨] بين الرياض وتفتك في أموالهم[١٩] فتكة البرّاض[٢٠]».

وما ذكره الشقندي ما كان في القرن الهجري الخامس، قرن ملوك الطوائف الذين عاش في كنفهم ابن زيدون. ولكن لوعدنا إلى القرنين الثالث والرابع الهجريين لوجدنا كيف كان الأندلسيون يتطلعون إلى المشرق، وكيف كانوا يستقدمون النابغين من علمائه، وكيف يجزلون لهم العطاء، وكيف كانوا يتنافسون في الحصول على آثار المشارقة تنافسًا كبيرًا،

وكيف يبذلون في ذلك الأموال، فقد بذل الخليفة الحكم ألف دينار للأصفهاني ليظفر بكتاب الأغاني قبل أن يُعرف بالمشرق[٢١].

وكان تنافسهم في استنساخ الكتب مضرب الأمثال فقد عنوا بإنشاء المكتبات وتوسيعها. ولعل خير شاهد مكتبة الحكم التي كانت تضم أربع مئة ألف كتاب[٢٢]، وسوق قرطبة التي تباع فيها الكتب النادرة حيث تجلب إليها من الأمصار. ويقول المقري «فإذا ما مات عالم بإشبيلية فأريد بيع كتبه حملت إلى قرطبة حتى تباع فيها[٢٣]، وهي أكثر بلاد الأندلس كتبًا، وأهلها أشدّ الناس اعتناءً بخزائن الكتب»[٢٤].

ومن يدرس عصر ملوك الطوائف يعرف كيف كانوا يتنافسون في جذب العلماء ورجال الفنون مع أنهم كانوا يعانون من المحن السياسية التي كانت تطيح بهم الشيء الكثير. ومع ذلك كله نجد أن بلاط بني عباد - أصحاب ابن زيدون - لا يقل عن بلاط الرشيد في بغداد، وسيف الدولة في حلب، وكان المعتمد بن عباد لا يستوزر وزيرًا إلا أن يكون شاعرًا،[٢٥] وكان معظم أسرته من الشعراء[٢٦].

ولا بأس إذا ما علمنا أن المظفر ملكَ بطَليوس كان رجلاً عالمًا له مؤلف يدعى «المظفري»[٢٧] على نحو عيون الأخبار لابن قتيبة. ويذكر ابن بسام أنه: «كان ينكر الشعر على قائله في زمانه، ويُفَيِّل رأي من ارتسم في ديوانه»[٢٨] ويتابع ابن بسام حديثه عنه: «حدثني من سمعه يقول: من لم يكن شعره مثل شعر المتنبي أو شعر المعري فليسكت، لا يرضى بدون ذلك»[٢٩]. وحسبنا أن نعلم أن ابن التيّاني رفض طلب مجاهد العامري في أن يطرز كتابه باسمه مع أنه أرسل إليه ألف دينار وكسوة فقال: «كتاب صنفته لله ولطلبة العلم أصرفه إلى اسم ملك، هذا والله ما لا يكون أبدًا، وصرف على مجاهد الألف الدينار والكسوة، فزاد في عين مجاهد وعظمُ في صدور الناس»[٣٠].

المعارضات في الأندلس:

حظيت المعارضات في الأندلس بدراسات متعددة الاتجاهات من صنع الدارسين، وتوزعتها كتب مفردة لها ودراسات في طيّات الكتب التي عالجت موضوع هذا الفن بشكل

عام[٣١]. ولن نتوقف طويلاً عند كل صغيرة وكبيرة تتصل بهذا الموضوع، وإنما سيكون حديث الدارس توطئة للدخول بمعارضات الأندلسيين شعر ابن زيدون.

يمر دارس الشعر في الأندلس بأخبار كثيرة تصف افتتان شعرائها بروضاتها الغناء واجتماعهم عند ضفاف الأنهار، وفي أثناء ذلك يحلو الشعر ويطيب السمر وتجود القرائح بأجمل ما تبلّغها شياطين الأشعار. وهنا نقف عند كلام جميل صادر عن أديب العربية الأستاذ علي الجارم – الذي كان له نصيب في معارضات شعر ابن زيدون – يقول: «ومن ذا الذي يعيش في الأندلس، في هذه الروضة الوارفة الظلال، في هذا الفردوس الأرضي، ويكون فيه فطرة الشعر، ولا يسجع سجع الحمائم؟ من ذا الذي يرى تلك الأنهار الدافقة، والأدواح الباسقة، والبساتين الباسمة، والجبال السامقة، ولا يطرّب تطريب العنادل؟»[٣٢].

وابن زيدون أحد الشعراء الذين جمعتهم تلك المجالس بكبار أقرانه من الشعراء الوزراء وبالولاة والقواد والأمراء. وهو من الذين آلت إليه أخبار سلفه ممن كان لهم أثر في توجيه الشعراء نحو المعارضات سواء أكان ذلك فيما بينهم أم في معارضة أشعار غيرهم من الشعراء المشارقة. والأخبار الدالة على ذلك كثيرة جدًا. ولعل أبرزها ما قاله صقر قريش مفتتحًا باب الحنين إلى المشرق وأدبه حين وقف أمام نخلة مفردة في مُنْية الرصافة بقرطبة مناجيًا إياها:

يا نَخْلُ أنتِ غريبةٌ مثلي
في الغرب نائيةٌ عن الأصلِ

وحين استبد به الحنين إلى معاهده بالشام وقف يغالب شوقه ويستوقف الراكب ليبلّغه مرارة الفراق وشدة الحنين وألم الاغتراب:

أيها الراكب المُيَمِّمُ أرضي
أَقْرِ من بعضيَ السلامَ لبعضِ
إن جسمي كما علمتَ بأرضٍ
وفؤادي ومالكيه بأرض

قُـــــدِّرَ البـينُ بيـننـا فـــــافـــــتــــــرقـنـا
وطوى البـينُ عن جـــفـــونـيَ غـــمـــضـي
قـــــد قـــــضـى اللـهُ بـالـفـــــراق عـلـيـنـا
فـعـسـى باجـتـمـاعـنـا سـوف يـقـضـي(٣٤)

ولا يغرب عن البال معارضة سليمان(٣٥)، الخليفة المستعين، أبياتًا تنسب للخليفة هارون الرشيد في وصف الجواري، وأولها:

عـــجـــبًـــا، يهـــاب الليثُ حـــدَّ سناني
وأهاب لـحـظَ فـــــواتـرِ الأجـــــفـــــانِ

أما مطلع قصيدة هارون الرشيد المعارضَة فهو:

مَـلَـك الـثـــــــلاثُ الآنـســـــــاتُ عِـنـانـي
وحَـــلَـــلْـــنَ مـــن قـــلـــبـــي بـــكـــلّ مـــكـــانِ
مـــــا لـي تـطاوعـني الـبـــــريّـةُ كـلُّـهـــــا
وأطيـــعُـــهُـن، وهـنّ في عـــصـــيـــانـي؟
مـــــــا ذاك إلا أن سـلـطـان الـهـــــــوى
- وبـه قـــويـنَ - أعَـــزُّ من سلطاني(٣٦)

ومعظمنا يعلم ذلك الإحباط الذي مني به الأندلسيون حين جاءهم نبأ عدم إقبال الصاحب بن عباد على «العقد الفريد»، وقوله: «هذه بضاعتنا ردّت إلينا»(٣٧) ورده قائلاً لا حاجة لنا به، بعد أن بذل كل ما بوسعه للحصول عليه. ولعل هذا العمل كان دافعًا لهم، ليثبتوا للصاحب وغيره تفردهم وخصوصيتهم، ولذلك أصبحنا نلمح الأفق الأندلسي متوجًا بالعديد من المؤلفات التي أراد لها مؤلفوها أن تكون صنوًا لمؤلفات المشارقة. وما العقد الفريد في حدّ ذاته إلا نوع من المماثلة والمقابلة اللتين أشار إليهما الدكتور محمد فتوح في أثناء تعريفه هذا الفن «المعارضة».

وتتجلى الرغبة في المعارضة في طلب المنصور بن أبي عامر من ابن درّاج الأندلسي أن يعارض رائية أبي نواس التي أوّلها:

أجــــارةَ بيـــتَـــيْنا أبوكِ غــــيـــورُ
ومـــيــســـورُ مـــا يُرجى لديكِ عــســيــرُ

فعارضها بقصيدة بليغة، منها:

ألم تـعلمي أنّ الـثـــــواءَ هو التّـــــوى
وأن بيـــوتَ العـــاجـــزين قـــبـــورُ[٣٨]

ولقد كان ابن بسام معجبًا بابن درّاج وتبدّى ذلك في أثناء ترجمته بقوله: «كان أبو عمر القسطلي وقته لسان الجزيرة شاعرًا وأوّلاً حين عَدِّ معاصريه من شعرائها المشهورة، وآخر حاملي لوائها، وبهجة أرضها وسمائها، وأسوة كتّابها وشعرائها، له عُقِد فخرها المحمول وسُهِم، وبه بدئ ذكرها الجميل وخُتم، حلّ اسمه من الأماني محل الأنس، وسار نظمه ونثره في الأقاصي والأداني مسير الشمس، وأحد من تضاءلت الآفاق عن جلالة قدره، وكانت الشام والعراق أدنى خطى ذكره»[٣٩]. ولا يكتفي ابن بسام بهذا الذي قيل، وإنما يورد مجموعة من أقوال الأدباء فيه كالثعالبي وابن حيان وأبي عامر بن شهيد[٤٠].

ويصوّر أبو محمد ابن حزم عناية الأندلسيين بالمشارقة وبأدبهم بقصيدة، فيها إعجاب بنفسه، وتحسر على قلّة إكرامهم إيّاه:

أنا الشـــمسُ في جـــوّ العلومِ منيـــرةٌ
ولكنّ عـــيـــبي أن مطلعيَ الغـــربُ
ولو أنّني من جـــانب الشـــرقِ طالعٌ
لجـــدّ على مـــا ضـــاع من ذكـريَ النّهْبُ
ولي نحـــو أكناف العـــراقِ صـــبـــابةٌ
ولا غَــرْوَ أن يســتـــوحشَ الكَلِفُ الصبُّ
فـــإن يُنزلِ الرحـــمنُ رحليَ بينهم
فـــحـــينئـــذٍ يبـــدو التـــأسّفُ والكرب
فكم قـــائلٍ: أغـــفلتَـــه وهو حـــاضـــرٌ
وأطلب مـــــا عنه تجيء به الكُتْبُ

هنالك يدري أن للبعد قصةً
وأن كساد العلمِ آفتُه القُرب[41]

ويطول بنا الحديث لو استقصينا كل الأخبار الجامعة لأنفة الأندلسيين واعتدادهم بآدابهم. ولعل نظرة سريعة في مقدمة كتاب «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة»، تشف عمّا يود قوله في هذا الشأن. كما أن ما ذكره في طيات كتابه، يؤكد شدة تعلّقهم بمعارضات المشهورين من المشارقة كأبي تمام والمتنبي والبحتري وأبي العلاء المعري والعباس بن الأحنف ومن كان على شاكلتهم ومرتبتهم. وقد أوفى على الغاية غير واحد من الدارسين الذين تتبعوا وقع أصوات هؤلاء الشعراء في الأندلس.

منهج الاختيار المتبع لقصائد المعارضات:

أودّ قبل الدخول في هذا الجانب من البحث أن أدوّن بعض الفقرات مما جاء به ابن قتيبة في مقدمة كتابه «الشعر والشعراء» لأنها توافق المقام ومنها قوله: «ولم أسلك، فيما ذكرته من شعر كل شاعر مختارًا له، سبيل من قلَّد، أو استحسن باستحسان غيره. ولا نظرت إلى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدّمه، وإلى المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره. بل نظرت بعين العدل على الفريقين، وأعطيت كلاً حظه، ووفرت عليه حقه.

فإني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله، ويضعه في متخيّره، ويرذل الشعر الرصين، ولا عيب له عنده إلا أنه قيل في زمانه، أو أنه رأى قائله.

ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن، ولا خصّ به قومًا دون قوم، بل جعل ذلك مشتركًا مقسومًا بين عباده في كل دهر، وجعل كل قديم حديثًا في عصره، وكل شرف خارجيّة[42] في أوله، فقد كان جرير والفرزدق والأخطل وأمثالهم يُعَدُّون محدثين وكان أبو عمرو بن العلاء[43] يقول: لقد كثر هذا المُحْدَث وحَسُن حتى لقد هممت بروايته.

ثم صار هؤلاء قدماء عندنا ببعد العهد منهم، وكذلك يكون من بعدهم لمن بعدنا[44]، كالخريمي[45] والعتّابي والحسن[46] بن هانئ وأشباههم. فكل من أتى بحَسَنٍ من قول أو

فعل ذكرناه له وأثنينا به عليه، ولم يضعه عندنا تأخر قائله أو فاعله، ولا حداثة سنه. كما أن الرديء إذا ورد علينا للمتقدم أو الشريف لم يرفعه عندنا شرف صاحبه ولا تقدمه»(٤٧).

وهذا الكلام البليغ يرشد الباحث لتبيين منهج الاختيار الذي اتّبعه، فقد قام على اختيار القصائد التي تماثل قصائد ابن زيدون من حيث البحر والروي والموضوع، واستبعد القصائد التي تخالف أوزان قصائده ولو كانت متفقة معها على الروي والموضوع. وكانت هذه الخطة مطردة لاتكاد تتغير ما خلا بعض القصائد التي استثناها من شرط اتفاق الموضوع ويعود سبب استثنائها إلى إشارات صاحبها إلى ابن زيدون ونونيته كأن يضمِّن بيتًا من أبياتها أو شطرًا أو يشير إلى ابن زيدون تسمية وفي هذا الحال يجد لزامًا عليه أن يتخلى عن شرط الموضوع حين يلجأ الشاعر المعارض إلى تخميس القصيدة أو تسديسها أو الاقتراب من موضوعها ومواطنها.

لقد وقف الدارس تلقاء عشرات القصائد ولكنه اطّرحها خلاف بعض الباحثين الذين تساهلوا في أمر الشروط الواجب توفرّها في كل من القصيدتين: المعارَضَة والمعارِضة. ولابدّ من الإشارة إلى ترتيب الشعراء في هذا القسم الذي يخص معارضات شعر ابن زيدون، حيث التزم الدارس الترتيب الألفبائي مع مراعاة الكلمة التي تدلّ على شهرة الشاعر بها.

أما ترتيب القوافي في القصائد المعارضة فقد آثر أن تكون النونية أوّلاً لشهرتها عند معظم الشعراء المعارضين والباحثين ثم اتّبع الترتيب الألفبائي بعد استثناء قافية النون من هذا الترتيب.

ولا يسع الباحث إلا أن ينوِّه بجهود الباحثين السابقين من الذين كانت لهم وقفة عجلى عند معارضة شاعر ما شعر ابن زيدون في أثناء دراساتهم شعر المعارضات. ولابدّ من الإشارة إلى دراستين اثنتين تناولتا شعر المعارضات في الأندلس، الأولى منهما عنوانها «المعارضات في الشعر الأندلسي في القرنين الخامس والسادس الهجريين، ليونس طرّكي سليم، وكانت رسالة ماجستير بكلية الآداب، جامعة الموصل، سنة ١٩٨٨،

ولها تقديم بصفحة واحدة بمجلة دراسات أندلسية، العدد ١٠، الصادرة عن تونس، للدكتور جمعة الشيخة وأما الثانية فهي «ظاهرة المعارضات[٤٨] في الشعر الأندلسي، لغانم سليمان، وهي رسالة ماجستير بكلية القديس يوسف، ١٩٨١. وهاتان الرسالتان لم يتسنَّ للباحث الاطلاع عليهما ولو أتيح له ذلك لكانت الفائدة أعمّ وأشمل. ولا ينسى أيضًا التنويه بعمل الأستاذ محمد بوذينة بعنوان «نونية ابن زيدون» أضحى التنائي بديلاً «ومعارضاتها». وهذا الباحث لم يوضح أسس اختياره للقصائد المعارضة فاطّرحت مما جاء به إحدى وعشرين قصيدة ومقطعة من أصل ٣٤ قصيدة ومقطعة، تكوّن قوام عمله. وأخيرًا عمل الدكتورة سعاد عبدالوهاب العبدالرحمن وعنوانه «ثلاث نونيات في الحنين إلى الأوطان» الصادرة عن مجلس النشر العلمي بجامعة الكويت سنة ٢٠٠٢، حيث درست نونية ابن زيدون ونونية أحمد شوقي ونونية أبي الفضل الوليد. وفيما يأتي حديث عن النونية وشهرتها عند الباحثين لأن الدارس اتخذها نموذجًا من شعر ابن زيدون المحاكى.

مناسبة القصيدة النونية:

عرفنا فيما سلف منزلة الشاعر ومكانته التي تبوّأها في دولة بني جهور ولعلّ لهذه المكانة علاقة بتوصله إلى حب الشاعرة الأندلسية «ولادة» ابنة الخليفة «المستكفي» التي بادلته حبّاً بحبٍ ملك عليه شغاف قلبه، وجعله يكثر من الأشعار التي قالها فيها ليثبت لها صدق دعواه، وليبين لها أن قلبه لم يسلُ لحظة عنها.

إن هذا الحبّ الذي يعتلج في فؤاده لم تكن لتصفو مشاربه، إذ سرعان ما كدّرها حسد الحاسدين ومنافسة الراغبين في حبّ حبيبته، وهذا ما جعل الشاعر يمجد هذا الحب ويدافع عنه خير دفاع، وينال من منافسيه، ويسدّد إليهم سهام غضبه ويرشقهم بقصائد ورسائل فيها حط من قدرهم[٤٩]، وتهديد ووعيد.

ولكن أيام السرور قصار، حيث إن الشاعر يغادر موطن حبّه الأول، مخلفًا وراءه ولادة الحب والجمال والأدب، حاملاً قلبه الحزين الذي لا يطاوعه في الفراق، معاهدًا أن يبقى وفيّاً لهذا الحب الذي ملأ عليه حياته، فلا يكاد يغيب عنه طرفة عين، وهذا ما جعله يصوغ أجمل قصائده في الغزل وفي الحنين وفي الشوق.

ومن قصائده هذه القصيدة التي على رويّ النون، أرسلها من إشبيلية إلى ولادة ليقول لها: إنه ما زال على العهد، وليبثها أحزانه وأشواقه، بعد أن حالت بينهما قسوة الدهر ومرارة الهجر ومطاردة الحاكم الذي لم يُعْتِبْهُ فاضطر إلى الهرب من سجنه في قرطبة ومغادرتها إلى إشبيلية عسى أن ينعم بها بالاً، وأنّى له أن تهدأ خلجات قلبه، ودون حبيبته خَرْط القتاد. إن هذا الانفعال المؤثر قد صنع قصيدة رائعة تتناقلها الأجيال وهذا ما سنراه.

قصيدة ابن زيدون النونية وشهرتها:

لن نتحدث عن هذه القصيدة من حيث الشكل والمضمون بل سيترك للقارئ متعة التذوق الفني لكيلا نفسد عليه هذه الوقفة مع خلجات قلب الشاعر وسوف يكون الحديث عن منزلة هذه القصيدة واهتمام الباحثين والدارسين بها، استنادًا إلى ما عرفوه عن منشئها ومبدعها ابن زيدون.

لقد شُهرت هذه القصيدة، ونوّهت بها كتب الأدب منذ تأليفها حتى أيامنا هذه، ونُعتت بأوصاف وعبارات تدل على مدى إعجاب ذاكريها بها. وممن أشار إليها أبو الفتح بن خاقان في قوله: «وهي قصيدة ضربت في الإبداع بسهم وطلعت في كل خاطر ووهم، ونزعت منزعًا قصر عنه[٥٠] حبيب[٥١] وابن الجهم[٥٢]». وابن بسام الشنتريني – معاصر وَلَد ابن زيدون أبي بكر – الذي ذكر منها ما يزيد على ثلاثين بيتًا، قال في نهايتها: «وهذه القصيدة بجملتها فريدة، وقد عارضه فيها جماعة قصّروا عنه، منهم أبو بكر ابن الملح، فإنه نازعه فيها الراية، فقصر عن الغاية، حيث يقول من قصيدة أوّلها:

هل يسمع الربعُ شكوانا فيُشكينا
أو يُرجع القولَ مَغناه فَيُغنينا»[٥٣]

وأشار أديب أندلسي[٥٤] آخر إلى نسيبها فذكر أنه يختلط بالروح رقّة ويمتزج بأجزاء الهواء لطافة. وما ذكرناه جزء يسير مما قاله الأدباء الأندلسيون، أما المشارقة، فقد أشار إلى هذه القصيدة الصلاح الصفدي شارح رسالة ابن زيدون الجدية حيث قال: «وأما ابن زيدون فإنّ غالب شعره وأغزاله في ولادة، ومن ذلك قصيدته النونية التي سارت

في البلاد، وطارت في العباد، وقد اشتهرت حتى صارت محذورة، فيقال: إنه ما حفظها أحد إلا مات غريبًا. وعارضها الناس في حياته وبعد موته ولم يقاربوها(٥٥)».

واحتفل الأدباء من قدامى ومعاصرين بهذه القصيدة، وبلغ إعجاب بعضهم بها حدّاً كبيرًا فأوردها كاملة، كالمقّري التلمساني في كتابه «نفح الطيب(٥٦)» وذكر من سَدّسها وخمّسها(٥٧) للدلالة على مكانتها عندهم. وأشار الصفدي إلى الشاعر صفي الدين(٥٨) الحلّي الذي خمّسها وعارضها، كما أشار إلى معارضةٍ له أيضًا.

وفي العصر الحديث هناك نفر غير قليل من الشعراء الذين استهوتهم فكرة معارضتها، ولعل من أبرزهم أمير الشعراء «أحمد شوقي»، حينما كان منفيًا في إسبانيا. ومن الراجح أنّ تماثل الظروف بين الشاعرين قد أدى إلى دفع الشاعر إلى محاكاتها وتقليدها(٥٩).

وبعد، فلا غرابة في شدّة أسر هذه القصيدة الجياشة بالحب العميق وبالعاطفة الباكية، ذلك بأن قائلها يشفّ عما في قلبه في الأبيات الآتية التي قالها في صباه:

أخذتُ ثلثَ الهوى غصبًا ولي ثُلُثٌ
وللمحبّين فيما بينهم ثلثُ
تاللّهِ لو حَلَف العشّاقُ أنّهمو
موتى من الوجدِ يومَ البينِ ما حنثوا
قومٌ إذا هُجِرُوا من بعدما وُصِلوا
ماتوا، فإن عاد مَنْ يهوَوْنَهُ بُعِثُوا
ترى المحبّين صرعى في عراصهمو
كفتيةِ الكهف لا يدرون ما لبثوا(٦٠)

ولقد آن الأوان بعد هذا كله أن ننتقل إلى معارضات الأندلسيين والمغاربة شعر الشاعر، ونخص بالذكر هذه النونية لما لها من سمات جعلتنا نفضلها على غيرها من قصائده ونفردها بالبحث، وهذا ما سيأتي بيانه.

إن عبارة ابن بسام فيما يتصل بابن زيدون وبهذه النونية تعرض على البحث تساؤلاً مهمًا ملخصه: أين معارضات الأندلسيين شعر ابن زيدون؟ وأين معارضاتهم هذه النونية؟. وهذان السؤالان لهما ما يسوّغهما بعد أن مرّ بنا قول ابن بسام: «وقد عارضه (المقصود ابن زيدون) فيها جماعة قصّروا عنه»(٦١).

والسؤال المطروح أين أشعار هؤلاء الشعراء الذين عارضوا بها نونية ابن زيدون؟ إن ابن بسام يقول: «منهم ابن الملح»، ثم لا نجد لغيره ذكرًا في أثناء كتابه «الذخيرة». وهذا حال ابن بسام فما حال مؤرخي الأدب الآخرين من الأندلسيين؟

وللإجابة عن هذا السؤال أخذ الدارس يتتبع معظم آثارهم بيد أنه لم يقع على ما يشفي الغليل ذلك بأنهم أجمعين لم يذكروا من عارضها ما خلا المقّري الذي ذُكر قوله آنفًا إذ إنه أشار إلى أبي بكر ابن الملح وإلى دخول ابن الوكيل على أعجازها، ثم قال: «فهي وإن اشتهرت بالمشرق والمغرب لم يذكر جملتها إلا القليل، وقد كنت وقفت بالمغرب على تسديس لها لبعض علماء المغرب، ولم يحضرني منه الآن إلا قوله في المطلع:

مـا للعـيـون بسـهم الغنجِ تُصـمـينا

وعن قِطاف جَنى الأعطافِ تحـمـينا»(٦٢)

ثم ذكر بعد المطلع بيتين اثنين وثلاثة أبيات استحسنها في هذا التسديس.

وظل هذا التسديس شغل الدارس الشاغل حتى وقع على خبر(٦٣) يشير إليه وإلى الشاعر الذي سدّسها وهو أبو بكر ابن حبيش. وهذا التسديس مخطوط محفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٦١٧ شعر تيمور. وقد حققه الدارس ووضعه في الموضع المناسب في هذا القسم. وجاء مئة وسبعة وثلاثين بيتًا، من ضمنها أبيات ابن زيدون. وهذا يعني أنه لم يذكر كل أبيات النونية ولو ذكرها لكان عدد الأبيات مئة وخمسين بيتًا.

وإشارة المقري إلى مغربية ابن حبيش لعلها من قبيل النسبة إلى دار الهجرة والمقام – على مبدأ الأديب ابن حزم الذي يرى هذا الرأي وقد عرض لشيء منه في رسالته حول

فضل الأندلس[٦٤] – وإلا لعدّ من الأندلسيين لأنه أندلسي من مرسية، وبها نشأ، وتجوّل ببلاد الأندلس ثم انتقل إلى بجاية ثم إلى تونس[٦٥] واستقر بها.

ومن المغاربة القدماء الذين وجدت لهم ما عارضوا به هذه النونية ابن الخلوّف شهاب الدين حيث وقعت له على قصيدة عدتها ثلاثة عشر بيتًا، ولا بأس هنا من تصحيح معلومة جاء بها الأستاذ محمد بوذينة حيث أشار إلى ابن الوكيل وعدّه من الأندلسيين[٦٦]، وهو في الحقيقة مشرقي معروف. والذي جر هذا الوهم عدم وضع ترجمة له في حواشي نفح الطيب حيث ذكر، فما كان من الأستاذ بوذينة إلا أن يذهب تفكيره إلى ابن الوكيل التجيبي الأقليشي الأندلسي، وهذا ليس بصواب لأن الموشحة مدونة في كتاب طبقات الشافعية[٦٧] وثابتة النسبة إلى صدر الدين ابن الوكيل الذي ذكره غير واحد من أصحاب التراجم المشرقية.

وأما المعاصرون من المغاربة فما رغب الدارس في فصلهم من قائمة إخوانهم من المشارقة وإنما أراد أن يكونوا جنبًا إلى جنب مع الشعراء المشارقة وإن كان ما وصل إليه من أشعار المغاربة لا ينقع غلة الصادي إلى ما عندهم، وذلك بسبب بعد الديار وقلّة الأخبار، مع أن الدارس لم يدخر جهدًا ووقتًا في متابعة البحث مع الإخوة في الجزائر والمغرب وتونس، واكتفى بما تحصل له من معارضاتهم بوساطة بعض الأصدقاء ولم يصل إليه نتاج أبناء المملكة المغربية وفق ما يحب ويرضى إذ إنه استند إلى وعد زميلة فاضلة ألم بها عارض صحي عوّقها عن إرسال المطلوب، وهذه الزميلة هي الدكتورة ثريّا لهي بجامعة الملك محمد الخامس بالرباط، شفاها الله وعوضها الصحة والسلامة.

معارضات قدماء المشارقة شعر ابن زيدون «النونية نموذجًا»:

حظيت هذه القصيدة بعناية المشارقة الذين أعجبوا بها وبقائلها وبدا لهم فيها أن يخمّسوها أو يدخلوا على أعجازها أو يضمّنوا بعض أبياتها في قصائدهم. ولم يكتفوا بذلك بل أخذوا يشرحون رسائل صاحبها في مؤلفات أفردت لها خاصة.

ولقد وقف الدارس تجاه عدد وافر من القصائد التي ماثلت النونية الزيدونية في حرف رويها ووزن بحرها، وخالفتها في الموضوع فاطّرحها واكتفى بأربع قصائد وبموشحة واحدة لابن الوكيل. وكان أصحاب القصائد – وفق ترتيبهم في القسم – شمس الدين الكوفي، وصفي الدين الحلي، والصنعاني وابن نباتة المصري.

وجدير بالذكر أن الدارس هنا قد تخير قصيدة الحلي مع أنها تخالف النونية في الموضوع ذلك بأن الرثاء هو موضوعها. وكان سبب التخير أن الشاعر المعارض قد خمّس[٦٨] هذه القصيدة. وعمله هذا فيه إشارة مؤكدة أنه يحاكيها ويماثلها ويعارضها. والشيء بالشيء يذكر فإنّي اطّرحت قصيدة الصفدي التي دونها في مطلع كتابه «تمام المتون»[٦٩] لأنها تخالف موضوع الزيدونية النونية ولم يضمنها شيئًا مما جاء في هذه الزيدونية.

وابن الوكيل مهد الطريق في موشحته التي دخل بها في أعجاز النونية الزيدونية فصار مقلّدًا جرى على شاكلته غير واحد من الشعراء الذين أنجبهم عصر النهضة كإبراهيم الأحدب الطرابلسي وغيره من الشعراء في القرن العشرين الذين يأتي الحديث عنهم فيما بعد.

معارضات شعراء القرنين التاسع عشر والعشرين شعر ابن زيدون «النونية نموذجاً»:

يقف في طليعة هؤلاء الشعراء إبراهيم الأحدب الطرابلسي الذي كان مولعًا بابن زيدون وبشعره فحاول تقليده ومحاكاته مستندًا إلى أعجاز نونيته في موشح مطلعه:

أجـــرى مـــاَقـــينا بعـــدُ المحـــبّـــينا

وناب عن طيب لقـــيـــانا تجـــافـــينا

يـــا طيبَ أوقـــاتي — بســـــفح نعـــمـــانِ

إذ نـــلـتُ لـذّاتـــي — بوصل نعـــمـــان

يُدير كـــاســـاتي — روحـــي وريحـــاني[٧٠]

وما كان ليكفيه هذا الموشح للدلالة على مقدرته الفنية فما كان منه إلا البحث عن وسيلة أخرى ترضي طموحه وما يجول بنفسه، فأخذ يصور في قالب جميل مسرحي صورة الوزير العاشق مع فاتنته الأميرة ولادة ابنة المستكفي، وما كان ليرضيه إلا لغة ابن زيدون الشاعرية وصوت جرسه الذي شرع يوزعه على معظم أبطال مسرحياته[٧١] لا مسرحية ابن زيدون وحدها.

ثم يلي هذا الشاعر شاعران وضعهما أحد الدارسين في قائمة الشعراء[٧٢] المجهولين في القرن التاسع عشر. وأولهما الشاعر حسن حسني الطويراني، التركي الأصل القاهري الدار والمنشأ. وله قصيدة خمّس فيها تسعة وثلاثين بيتًا من أبيات النونية الزيدونية. والثاني: الشاعر عبدالله فريج الذي خمَّس واحدًا وعشرين بيتًا منها.

وتخيّرت بعد هذين الشاعرين مجموعة من قصائد الشعراء الذين عاشوا في عصر أمير الشعراء أحمد شوقي وكانت قصيدته النونيّة في طليعة القصائد المتخيَّرة. وليس المقام هنا مقام دراسة متأنية فاحصة ولكنه مقام عرض سريع وموجز لما جمع من هذه المعارضات. ومن ثم تأتي الدراسة على يد من يرغب فيها بعد أن صار بين يديه طائفة كثيرة من هذه القصائد التي عارض بها أصحابها زيدونية ابن زيدون.

وتخير الباحث أيضًا مجموعة أخرى من القصائد التي شهر أصحابها بعد رحيل أميرهم وكان من أبرزهم الشاعر محمد مهدي الجواهري الذي ما فتئ يعزف أحلى القصائد في الشوق والحنين والفراق حيث أمضى شطرًا كبيرًا من حياته غريبًا عن وطنه. وصارت نونية ابن زيدون معادلاً لموضوعه الدائم الذي آلى على نفسه حمله كلما خبت جذوة الحنين. وظلّ وفيًا لوطنه حتى آخر ساعة من حياته ولم يكحل عينيه برؤية هذا الوطن الذي عشقه عشق الأحبة والمعذبين.

وظلت صفحات هذا البحث مفتوحة ممتدة في الزمان والمكان ولم يغلق صاحبه أبوابه عند قطر أو زمان وكانت آخر قصيدة تخيّرها قصيدة الشاعر يحيى السماوي الذي عاد إلى وطنه بعد غياب، وكانت قصيدته ثمرة هذا الغياب وذلك الشوق والحنين فجاءت ملحمة تعبر عن أصدق مشاعره، وقديمًا قيل:

لا يـعـــــــــرف الحبّ إلا مـن يُـكـابـده
ولا الـصــــبــــابةَ إلا من يُعـــانيــــهـــا

وأخيرًا أود الإشارة إلى اتساع رقعة البحث زمنيًا وجغرافيًا إذ إنني كنت أنقّب عن قصائد الشعراء المعارضين منذ وفاة ابن زيدون حتى عصرنا هذا. وكم من مرة توقفت عند عدد من الدواوين غير المفهرسة على أية طريقة معروفة ورحت أفتشها ورقة ورقة وأعود منها خالي الوفاض بيد أني سعيد بهذا الجهد الذي بذلته فأوصلني إلى ست وسبعين قصيدة توزعتها الأزمان المختلفة والأماكن القريبة والبعيدة. وفي الختام إن أكن قد حقّقت شيئًا فذلك فضل من الله ونعمة وإن كانت الأخرى فحسبي أني أخلصت النية في العمل، والجهد، وعلى الله فليتوكل المتوكلون، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

****

الحواشي المتعلقة

بمقدمة معارضات شعر ابن زيدون

(١) معجم العين مادة (عرض).

(٢) يؤيد رأي الأستاذ الشايب الدكتور منجد مصطفى بهجت في كتابه الأدب الأندلسي ٦٦ ورقمه (٩١) في الدليل، وآخرون غيره.

(٣) خصائص الأسلوب في الشوقيات/ ٢٣٩ ورقمه في الدليل (١٢٦).

(٤) م. ن.

(٥) م. ن/ ٢٣٩ – ٢٤٠.

(٦) م. ن/ ٢٤٠.

(٧) دورة البارودي. أبحاث الندوة ووقائعها/ ١٣٥ مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، ١٩٩٤.

(٨) الأخرج: ذكر النعام، والخَرَج بياض في سواد، وبه سُمِّي. ومُهْذَب من الإهذاب، وهو الإسراع في الطيران والعدو والكلام.

(٩) الرائح: السحاب. والمتحلب: المتساقط المتتابع.

(١٠) مريته: يقال «مريت الفرس» إذا استخرجت ما عنده من الجري بسوط أو غيره.

(١١) وامق: أي مُحِبّة. وفرّق أبو رياش بين الومـاق، والعشق، فقال: الومـاق: محبة لغير ريبة، والعشق محبة لريبة.

(١٢) انظر: الشعر والشعراء ١/٢١٨ – ٢١٩ بتحقيق أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، الطبعة ٢/ ١٩٩٨، وتاريخ المعارضات في الشعر العربي ١٦، د. محمد محمود قاسم نوفل، ورقمه (١١٤) في الدليل.

(١٣) جارميات ٢٢٢، جمع وتنسيق د. أحمد علي الجارم، ط ١، دار الشروق، مصر ١٩٩٢.

(١٤) الشعر والشعراء ٣٤٤/١.

(١٥) اقترن فن المعارضات مع دراسات النقاد وعنايتهم بفن الموازنات، وسيأتي فيما بعد شيء من تلك المؤلفات.

(١٦) شلب: مدينة صغيرة في جنوب البرتغال تتبع لمديرية الغرب. وذكر القزويني أنها قريبة من باجة. وإليها ينتمي الشاعر العربي المشهور ابن عمار. انظر: الروض المعطار ٣٤٢، آثار البلاد وأخبار العباد/ ٥٤١، معجم البلدان ٣٥٧/٣، دائرة المعارف الإسلامية ٣٥٢/١٣.

(١٧) آثار البلاد وأخبار العباد/ ٥٤١.

(١٨) النواسم: جمع نيسم، وهو الطريق المستقيم. (اللسان مادة نسم).

(١٩) إشارة إلى المثل «أفتك من البرّاض». وهو البرّاض بن قيس الكناني، يضرب به المثل في الفتك، مجمع الأمثال ١٩٠/٣.

(٢٠) نفح الطيب، ١٩٠/٣.

(٢١) انظر: الحلّة السيراء ٢٠١/١ نقلاً عن ابن حيان.

(٢٢) الحلة السيراء ١/ ٢٠٢، نفح الطيب ٣٩٤/١ – ٣٩٥.

(٢٣) النفح ١/ ٣٦٤.

(٢٤) م. ن/ ٤٦٢.

(٢٥) المعجب/ ١٠٥ ، ورقمه في الدليل (١٤).

(٢٦) كان المعتمد ووالده المعتضد شاعرين. وكذلك بعض أولاده.

(٢٧) انظر: المعجب/ ٧٥، والمطرب ٢١ ورقمه (١٤) في الدليل.

(٢٨) الذخيرة ٦٤١/٢/٢.

(٢٩) م. ن.

(٣٠) هذه الحادثة في معظم كتب التراجم الأندلسية، وكلها أخذت عمّا رواه الحميدي صاحب جذوة المقتبس الذي يروي عن ابن حزم، أستاذه رواية ابن الفرضي. انظر ترجمة ابن التياني في المغرب ١٦٦/١/١ وفيه تلك القصة.

(٣١) هناك دراسات متعددة حول هذا الموضوع منها المعارضات في الشعر الأندلسي في القرنين الخامس والسادس، ليونس طرّكي سليم، رسالة ماجستير بكلية الآداب بجامعة الموصل، ١٩٨٨، قدّم هذا العمل وعرض على صفحة بمجلة دراسات أندلسية، العدد ١٠، الصفحة ٩١ السنة ١٩٩٣م. وهي مجلة تصدر عن تونس وصاحبها الدكتور جمعة الشيخة، وانظر أيضًا ظاهرة المعارضات في الشعر الأندلسي، غانم سليمان رسالة ماجستير بجامعة القديس يوسف، ١٩٨١، والمرجع الأطروحات العلمية في الدراسات الأندلسية والمغربية، للدكتور محمد عبدالحميد عيسى صقر، كلية التربية، قسم التاريخ، جامعة عين شمس، ١٩٨٨م، مصر، الصفحة ٦٠.

(٣٢) جارميات ٣٠٠.

(٣٣) الحلة السيراء ١/ ٣٧.

(٣٤) م. ن/ ٣٦.

(٣٥) سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبدالرحمن الناصر، الأموي، أبو أيوب: من ملوك الدولة الأموية في الأندلس. بويع بعد مقتل عمه هشام بن سليمان سنة ٣٩٩هـ وتلقب بالمستعين بالله. ودخل قرطبة سنة ٤٠٠هـ، فتلقب فيها بالظافر بحول الله، مضافًا إلى المستعين بالله. قتله عليّ بن حمود وبمقتله انقطع ذكر بني أمية على منابر الأندلس مدة سبع سنين. الأعلام ١٢٣/٣، وانظر ترجمته في الحلة السيراء ١/٥ – ١٢.

(٣٦) الحلة السيراء ٩/٢، الذخيرة ٤٧/١/١، المعجب ٩٢ – ٩٣.

(٣٧) ذكر الصلاح الصفدي في كتابه الوافي بالوفيات في أثناء ترجمة ابن عبد ربه صاحب كتاب العقد الفريد ما نصه: «بلغني أن الصاحب بن عباد سمع بكتاب العقد فحرص حتى حصّله فلما تأمله قال: «هذه بضاعتنا ردّت إلينا».. إلى آخر الكلام. ونجد ابن خلكان يقول: «وكتب بعضهم إليه ورقة أغار فيها على رسائله وسرق جملة من ألفاظه فوقّع فيها هذه بضاعتنا ردت إلينا»، ولم يذكر شيئًا يتصل بالعقد، انظر: وفيات الأعيان ٢٣٠/١، ورقم الكتاب (١٨) في الدليل. ومهما يكن من أمر فإن تعصب المشارقة لأدبهم وتعصب الأندلسيين لأدبهم معروف مشهور، سواء أكان بسبب كتاب العقد أم بغيره من الأسباب.

(٣٨) انظر: الذخيرة ٨٢/١/١، وفيات الأعيان ١/ ١٣٥، وانظر موازنة الدكتور عبدالله الطيب بين القصيدتين في كتاب «التراث المغربي والأندلسي، التوثيق والقراءة» جامعة عبدالمالك السعدي، كلية الآداب بتطوان، منشورات الكلية، ندوة رقم ٤، الصفحة ٣١٧ – ٣٤٤، البحث عنوانه «بين ابن درّاج القَسْطَلّي وابن هانئ الحكمي أبي نواس» أبريل ١٩٩١م.

(٣٩) الذخيرة ٥٩/١/١ – ٦٠.

(٤٠) انظر: الذخيرة ٦٠/١/١ – ٦١.

(٤١) المعجب ٩٥ وانـظر – حـول وجوه الاتفـاق والاخـتـلاف فيـما بين المشـارقة والأندلسيين: «أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة» ورقـمـه في الدليل (٨٧) ومـقـالة الدكـتـور جـمـعـة الشيخة وعنوانها «المؤتلف والمختلف بين الشرق والغرب في التراث الأندلسي» في كتاب «البحث في التراث الغرناطي. حصيلة وآفاق» سلسلة ندوات ومحاضرات رقم ١٢، الصفحة ١٣ – ٣٤، جـامعـة مـحـمـد الأول، كليـة الآداب والعلوم الإنسـانيـة، وجدة، إعـداد مـصطفى الغديري، ٢٠٠١م.

(٤٢) الخارجي: الذي يخرج ويشرف بنفسه من غير أن يكون له قديم. ومنه الخارجية، وهي خيل لا عرق لها في الجودة، فتخرج سوابق وهي مع ذلك جياد.

(٤٣) أبو عـمـرو بن العـلاء بن عـمـار بن عـبـدالله المازني النحـوي المقرئ. أحـد القـراء السـبـعـة المشـهورين، اختلف في اسمه على أحد وعشرين قولاً، عددها السيوطي في بغية الوعاة ٢٣١/٢، وذكر أنه لجلالته كـان لا يسـأل عنه، وقـال: «كـان إمـام أهل البـصـرة في القـراءات والنحو واللغة، وقرأ القرآن على سعيد بن جبير ومجاهد، وروى عن أنس بن مالك» وقيل: إنه أعلم الناس بالقراءات والعربية وأيام العرب والشعر. وقد حقق الأخ الصديق الدكتور عبدالكريم حسين كتابًا له عنوانه «الإدغـام الكبير» وصدر عن مركز المخطوطات والتراث والوثائق، بالكويت، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

(٤٤) أبو يعقوب إسحاق بن حسان بن قوهي الخريمي: كان أعجميًا، من الصّغد وازدهر شعره في عصر الرشيد والمأمون ومدحهما. له أشعار قالها في إصابته بالعمى. انظر ترجمته في الشـعـر والشـعـراء ٨٥٣/٢ – ٨٥٨ وتـاريخ الأدب العـربي ٣٣٩/١، لكارل بروكلمـان. وفي مصادر ومراجع أخرى.

(٤٥) العتابي: هو كلثوم بن عمرو من بني تغلب من بني عتّاب، من ولد عمرو بن كلثوم التغلبي، ويكنى أبا عمرو. وكان شاعرًا محسّنًا، وكاتبًا في الرسائل مجيدًا، ولم يجتمع هذان لغيره. عاصر الخليفة المأمون. وهذه الصفات أسبغها عليه ابن قتيبة في الشعر والشعراء ٨٦٣/٢.

(٤٦) المذكور هو أبو نواس الشاعر العباسي المشهور، ولا حاجة ماسّة للتعريف به.

(٤٧) الشعر والشعراء ٦٢/١ – ٦٣.

(٤٨) انظر: الأطروحات العلمية في الدراسات الأندلسية والمغربية/ ٦٠.

(٤٩) ذُكر في الديوان عدد من الشخصيات التي وجّه إليها ابن زيدون سهام نقده. ومن أبرزهم الوزير ابن عبدوس. وما يدل على ذلك انشاء ابن زيدون رسالة هزليّة على لسان ولادة في ابن عبدوس وكانت الرسالة محطّ أنظار الباحثين والشرّاح.

(٥٠) المراد بحبيب الشاعر حبيب بن أوس الطائي وهو أبو تمام، معروف ومشهور، ولد بمدينة «جاسم» – وهي مدينة عريقة مشهورة هي اليوم من أعمال محافظة درعا في القطر العربي السوري، ذكرها المؤرخون وجاءت بها أشعار الجاهليين. ومن معالمها الأثرية البلدة القديمة وعدة تلال من أشهرها تل الجابية المذكور في كتب التاريخ الإسلامي – وكانت ولادة أبي تمام سنة ١٩٠هـ ووفاته سنة ٢٣١هـ وفيها خلاف. وهو شامي الدار، مصري وشامي التكوين، عراقي المنزلة، شاعر الخلافة العباسية من غير منازع، صاحب أسلوب في البلاغة العربية. وليعذر القارئ كاتب هذه السطور إذا ما أطال فنزعة العصبية للدار والمولد لابد أن تميط اللثام عنها ولا سيما إذا ما عرف القارئ الكريم أن كاتبها من مدينة الشاعر.

(٥١) المراد بابن الجهم، الشاعر علي بن الجهم، كان من معاصري الشاعر أبي تمام ولذلك قرنهما ابن خاقان معًا. وهو أبو الحسن، القُرَشيّ، شاعر فحل مطبوع، وشعره في الغزل من عيون الشعر، وكان عالمًا بالشعر بصيرًا بنقده حسن المحاضرة والمفاكهة. مدح الواثق والمتوكل ورثى أبا تمام. وله ديوان شعر مطبوع بتحقيق خليل مردم بك. قتل سنة ٢٤٩هـ.

(٥٢) قلائد العقيان/ ١٩٦.

(٥٣) الذخيرة ٣٦٢/١/١.

(٥٤) الأديب هو الواحد المراكشي، انظر كتابه المعجب/ ١٦٣.

(٥٥) تمام المتون/ ١٢ – ١٣ ورقمه (٣١) في الدليل.

(٥٦) انظر: نفح الطيب ٣/ ٢٧٨.

(٥٧) انظر: نفح الطيب ٢٧٨/٣.

(٥٨) أشار الصفدي في كتابه تمام المتون/ ١٣ إلى تخميس صفي الدين الحلّي.

(٥٩) ما أكثر الكتب التي تحدّثت وناقشت محاكاة أحمد شوقي هذه النونية الزيدونية. وقد ذكرت في هذا الدليل معظم ما وقعت عيناي عليه من كتب بهذا الخصوص.

(٦٠) المعجب/ ١٦٧ – ١٦٨.

(٦١) الذخيرة ٣٦٢/١/١.

(٦٢) النفح ٣/٢٧٨.

(٦٣) انظر ابن زيدون/ ٥٣٧، لعلي عبدالعظيم.

(٦٤) انظر نفح الطيب ٣/ ١٦٤.

(٦٥) انظر الترجمة المطوّلة التي صنعها ابن رشيد في كتابه «رحلة ابن رشيد» ٢/ ٨٣ – ١٢٦.

(٦٦) انظر نونية ابن زيدون «أضحى التنائي» ومعارضاتها/ ١١٤، لمحمد بوذينة.

(٦٧) انظر هذا الكتاب ٣/٢٥٣ – ٢٦٧، نفح الطيب ١/٦٣٢.

(٦٨) انظر هذا التخميس في تمام المتون/ ١٣.

(٦٩) م. ن.

(٧٠) انظر: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر/ ٥٨ – ٦١ لعبدالرزاق البيطار.

(٧١) انظر: مسرحيات الشيخ إبراهيم الأحدب/ مواضع متعددة/ ورقمه ١٧٠ مكرر.

(٧٢) انظر: «الشعر والشعراء المجهولون في القرن ١٩»، د. طه وادي، دار الثقافة، قطر، الطبعة ١/١٩٨٦.

****

قـافيـة الـنــون

ابن زيدون

فراقية ابن زيدون

أضحى التنائي بديلاً من تدانينا
ونـاب عن طيب لُقيانا تجافينا
ألاّ وقد حان صبحُ البينِ صبَّحنا
حَيْنٌ، فقام بنا للحين ناعينا
من مُبلغُ الملبسينا بانتزاحهمُ
حزناً مع الدهرِ لا يبلى ويُبلينا
أنّ الزمانَ الذي ما زال يُضحكنا
أُنساً بقربهمُ قد عاد يُبكينا
غِيظ العدا من تساقينا الهوى فدعوا
بأن نغصَّ، فقال الدهرُ: آمينا
فانحلَّ ما كان معقوداً بأنفسنا
وانبتَّ ما كان موصولاً بأيدينا
وقد نكون وما يُخشى تَفرُّقنا
فاليومَ نحن وما يُرجى تلاقينا
يا ليت شعري ولم نُعتِب أعاديَكم
هل نال حظّاً من العُتْبى أعادينا
لم نعتقد بعدكم إلا الوفاءَ لكم
رأياً، ولم نتقلَّدْ غيرَه دِينا

– هذه نونية ابن زيدون التي عارضها عدد كثير من الشعراء، وقد أخذتها عن كتاب: «مختارات من شعر الأندلس» لأستاذي الدكتور شاكر الفحام، الصفحة ٢٧٠ – ٢٧٧، منشورات جامعة دمشق، ١٩٧٩، دمشق، سورية.

مـا حـقُّـنـا أن تُـقـرّوا عــينَ ذي حـسـدٍ
بـنـا، ولا أن تَـسـرّوا كـاشـحـاً فـيـنـا
كـنّـا نـرى الـيـأسَ تُـسلـيـنـا عـوارضُه
وقـد يـئـسـنـا فـمـا لـلـيـأس يُـغـريـنـا
بِـنـتُم وبِـنّـا فـمـا ابـتـلّتْ جـوانـحُـنـا
شـوقـاً إلـيـكم، ولا جـفّتْ مـآقـيـنـا
يـكـاد، حـين تُـنـاجـيـكم ضـمـائـرُنـا،
يـقـضي عـلـيـنـا الأسى لـولا تـأسّـيـنـا
حـالت لـفـقـدكمُ أيّـامُـنـا فـغـدتْ
سُـودًا، وكـانت بـكم بـيـضـاً لـيـالـيـنـا
إذ جـانبُ الـعـيش طـلقٌ من تـألّـفـنـا
ومَـربـعُ الـلـهـوِ صـافٍ من تـصـافـيـنـا
وإذ هـصـرنـا غـصـونَ الـوصلِ دانـيـةً
قـطـافُـهـا، فـجـنـيـنـا مـنه مـا شـيـنـا
لـيُـسْقَ عـهـدُكمُ عـهـدُ الـسـرورِ فـمـا
كـنـتـم لأرواحـنـا إلا ريـاحـيـنـا
لا تحـسـبـوا نـأيَـكم عـنّـا يُـغـيّـرنـا
أن طـالمـا غـيَّـرَ الـنـأيُ المحـبّـيـنـا
والـلـهِ مـا طـلـبتْ أهـواؤنـا بـدلاً
مـنـكم، ولا انـصـرفتْ عـنـكم أمـانـيـنـا
يـا ساريَ الـبـرقِ غـادِ الـقـصـرَ فـاسقِ بهِ
من كـان صـرفَ الـهـوى والـودِّ يـسـقـيـنـا
واسـألْ هـنـالك هل عَـنّى تَـذكُّـرُنـا
إلـفًـا تـذكُّـرُه أمـسى يُـعـنّـيـنـا
ويـا نـسـيمَ الـصَّـبـا بَـلِّغْ تحـيّـتَـنـا
من لـو عـلى الـبـعـد حـيّـا كـان يُـحـيـيـنـا

فهل أرى الدهرَ يقضينا مساعفةً
فيه، وإن لم يكن غِبّاً تقاضينا
ربيبُ مُلْكٍ كأنّ اللهَ أنشأه
مِسْكًا، وقدَّرَ إنشاءَ الورى طِينا
أو صاغه وَرِقاً مَحْضاً، وتَوّجَه
من ناصع التبرِ إبداعاً وتحسينا
إذا تَأَوَّدَ آدتْه رفاهيةً
تُومُ العقودِ، وأدمته البُرى لِينا
كانت له الشمسُ ظِئراً في أكلَّتهِ
بل ما تجلَّى لها إلا أحايينا
كأنما أُثبِتتْ في صحن وجنتهِ
زُهْرُ الكواكبِ تعويذاً وتزيينا
ما ضرَّ أن لم نكن أكفاءه شرفاً
وفي المودّة كافٍ من تكافينا
يا روضةً طالما أجنتْ لواحظَنا
ورداً جلاه الصِّبا غضّاً ونِسرينا
ويا حياةً تملّينا بزهرتها
مُنًى ضُروباً ولذّاتٍ أفانينا
ويا نعيماً خطرنا في غضارتهِ
في وشي نُعمى سحبنا ذيلَه حِينا
لسنا نُسمّيك إجلالاً وتكرمةً
وقَدْرُكِ المعتلي عن ذاك يُغنينا
إذا انفردتِ وما شُوركتِ في صفةٍ
فحسبُنا الوصفُ إيضاحاً وتبيينا
يا جنّةَ الخُلْدِ أُبدلنا بسدرتها
والكوثرِ العذبِ زَقّوماً وغِسلينا

كـأنــنــا لم نــبتْ والــوصلُ ثــالــثُــنــا
والـسّـعدُ قـد غضَّ من أجـفـان واشـيـنـا
سِرَان في خـاطـر الـظـلـمـاءِ يـكـتـمـنـا
حـتى يـكـادَ لـسـانُ الـصـبحِ يُـفشـيـنـا
لا غـروَ في أن ذكـرنـا الـحـزنَ حـين نـهتْ
عنه الـنُّـهى، وتـركـنـا الـصـبـرَ نـاسيـنـا
إنــا قــرأنــا الأسى يــومَ الــنــوى سُـوَراً
مـكـتـوبـةً، وأخـذنـا الـصـبـرَ تـلـقـيـنـا
أمّــا هــواكِ فــلـم نــعــدلْ بمــنــهــلـهِ
شـرْبـاً، وإن كـان يـرويـنـا فـيُـظـمـيـنـا
لـم نجفُ أفقَ جـــمـــالٍ أنتِ كـــوكـــبُهُ
ســالــينَ عـنه، ولم نــهـجـره قـالـيـنـا
ولا اخـــتـــيــاراً تجــنّــبــنــاه عن كـثبٍ
لـكن عـدتْـنـا عـلـى كُـرهٍ عـواديـنـا
نـأسى عـلـيكِ إذا حُـثّتْ مـشـعـشـعـةً
فـيـنـا الـشَّـمولُ، وغَـنّـانـا مُـغـنِّـيـنـا
لا أكـؤسُ الـراحِ تُـبـدي من شَـمـائـلـنـا
سِـيـمـا ارتـيـاحٍ ولا الأوتـارُ تُـلـهـيـنـا
دُومي على الـعـهد، مـادمـنـا، مُـحـافظةً
فـالحـرُّ من دان إنـصـافـاً كـمـا دِيـنـا
فمـا اسـتعـضـنـا خـليلاً منكِ يحـبسنا
ولا اسـتـفـدنـا حـبـيـبـاً عـنكِ يـثـنـيـنـا
ولـو صـبـا نـحـونـا من عُـلـو مـطـلـعهِ
بـدرُ الـدجى لم يـكن حـاشـاكِ يُـصـبـيـنـا
أَوْلي وفـــاءً وإن لـم تـــبـــذلي صـــلـــةً
فـالـطـيفُ يُـقـنـعـنـا، والـذكـرُ يـكـفـيـنـا

وفي الجــواب مــتـــاعٌ إن شــفــعتِ بهِ
بـيضَ الأيـادي الـتي مـازلتِ تُـولـيـنـا
عـلـيكِ مـنّــا سلامُ الـلـهِ مـا بــقـيتْ
صـبـابـةٌ بكِ نُـخـفـيـهـا فـتُـخـفـيـنـا

****

إبراهيم الأحدب الطرابلسي

أجرى مآقينا

أجرى مآقينا بعدُ المحبّينا
وناب عن طيب لقيانا تجافينا
يا طيبَ أوقاتي بسفح نعمانِ
إذ نلتُ لذّاتي بوصل نعمان
يُدير كاساتي روحي وريحاني
فالآن لما بانْ يُزري غصونَ البانْ
أضحى التنائي بديلاً من تدانينا
يا جيرةَ البانِ جُرتم ودمعي جارْ
هجرتُ أوطاني ولم أنل أوطار
والبعدُ أشجاني وطيرُ أُنسي طار
وما رقتْ أجفانْ، بعد الحِمى والبانْ
شوقاً إليكم ولا جفّتْ مآقينا
أحبابنا عُودوا لذلك الحبِّ
كي يورقَ العودُ بالأنس والقربِ
وباللّقا عودوا مُروَّعَ القلب

– الشيخ إبراهيم الأحدب الطرابلسي: عالم الطليعة، من علماء اليقظة الإسلامية في لبنان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، من أغزرهم نتاجاً وأعلاهم منزلة وأكثرهم تنوّعاً في الموضوعات التي طرقها.
– من مؤلفاته – وهي كثيرة – ديوان إبراهيم الأحدب، طبع في بيروت ١٢٨٤هـ و«ذيل ثمرات الأوراق» طبع في القاهرة ١٣٠٠هـ، «وفرائد الآل في نظم مجمع الأمثال»، طبع في بيروت، المطبعة الكاثوليكية ١٣١٢هـ.
– ولد في عام ١٨٢٦م في طرابلس الشام وتوفي عام ١٨٩١م، وللتوسع في أخباره يراجع كتاب «الشيخ إبراهيم الأحدب، حياته ومؤلفاته» لزينب القاروط، طرابلس ١٩٨١ و«مسرحيات الشيخ إبراهيم الأحدب» بتحقيق الدكتور

واسقوا غصونَ الودْ، بالعطف بعدَ الصدْ
فنحن روضٌ وأيديكم سواقينا
يا طالما أبدى لـيَ المنى الخلُّ
وأسعدتْ سُعدى وأجملتْ جُمْل
وراق لي وردي يومَ اللقا الوصل
حيث الهنا وافِ، وظلُّه ضافِ
ومورد اللهوِ صافٍ من تصافينا
أيامُ عيشي راقْ بقرب ذاتِ الخالْ
وقرطُها الخفّاق يدنو من الخلخال
ولي بكشف الساق قد ساقتِ الآمال
فبعدها قد كادْ، مما لنا قد كادْ
يقضي علينا الأسى لولا تأسّينا
خَوْدٌ وفتْ وعدي باللطف والإيناسْ
وأسعدتْ جَدّي بعطفها الميّاس
وخدّها الوردي ببَوْسه لا باس
أنعِمْ به خَدّا، لصبّه أهدى
ورداً جناه الصِّبا غضّاً ونسرينا
قد زاد وسواسي بالحلي في الصدرِ
وهمتُ للكاسِ من ثغرها الدُرِّ
وليس لي آسي سواه من ضرِّ
لذا رجا قلبي، من وِرده العذبِ
شُرْباً وإن كان يروينا فيُظمينا
يا بانةَ الوادي هل عائدُ أُنسي
وعهدُ إسعادي بالبدر والشمسِ
وأنجمُ النادي يسعون بالكاس
ومنيةُ العشّاقْ، أدارَ وَهْو الساقْ
فينا الشَّمولَ وغنّانا مُغنّينا

ذكـرتُ أيّـامـــي		بقــرب ذي المجــدِ
شريف السـامـي		بدرُ العـلا رشـدي
مولًـى بإلـهـامي		يُعيـد مـا يُبـــدي
من أن وصــــفــنـــــاهُ، بمـــا مــــدحـــنــــاهُ
فحسبُنا الـوصفُ إيـضـاحـاً وتـبـيـيـنـا
شهـمٌ لنـا أَوْلـى		عــوائــدَ البِــــرِّ
ولــم يــزل أولـــى		بـالـحمد والشكر
وزادنـــي طَـوْلـى		برفـعـة القـــدر
وأغـــــصنُ المنِّ، أدنى لمن يــــجـــــني
قـطـوفَـهـا فـجـنـيـنـا منه مـا شِـيـنـا
مَــعْ بُعــده وفّــى		عهـدي وأولانــي
والودّ لـي أصفـى		فضــلاً ووالانـــي
وزادنـــي عُــرْفــا		من بعد نُكــرانِ
فـإن يـكن قـد دانْ، قـلـبي لـذا الإحـسـانْ
فـالحــرُّ من دان إنـصــافـاً كـمـا دِيـنـا
مَـولًـى أياديــهِ		جِيـدَ العلى حلّتْ
كمـا مسـاعيــهِ		عقـدَ الأسى حلّت
ومــن يُوافـيــه		لــه المنــى حلّـت
لـقـد خـطـرنـا بمـا، أسـدى لـنـا كـرمـا
في وشي نُـعـمى سحـبـنـا ذيـلَه حـيـنـا
حيث الصفا حَيّا		بمـا نُــرجّـيـــهِ
وقــد غـــدا حـيّا		مَيْـتُ الرجـا فيه
وكـم دعـا هـــيّا		داعـي أمـانـيـه
لــذاك قـــد نـــلـــنــا، مـــنه بمـــا مَـــنّـــا
مُـــنًى ضُـــروبـــاً ولـــذّات أفـــانـــيـــنـــا

وا شـوقيَ البـادي　　لطـيب نـاديـهِ
إذ بـالمنى نــادي　　لمـن يُـنـاديــه
من بعـد إبعـادي　　عـن وِرْد صافيـه
بُـدّلتُ بـالـبـلـوى، عن جـنّـة المـأوى
والـكـوثـرِ الـعـذبِ زَقّـومـاً وغِـسـلـيـنـا
يا من على الشِّعْرى　　بـه عـلا شِعـري
وبـالـوفـا أجـرى　　لطــفاً بـلا أجـرِ
ولـلـعُـلـى أسـرى　　بـي مُطْـلِقًا أسري
هـيـهـات أن نـنـسى، من بَـعـدكم درسـا
بـيضَ الأيـادي الـتي مـا زلتِ تُـولـيـنـا
أوقاتُ شرُبي صافْ　　مـن وِرْدكِ الحـالي
وبــدرُ أُنسٍ طـاف　　بكـأس آمـالـي
وغـاظ بالإتحــاف　　مـرآكِ عُـذّالـي
لــذا دعــوا جــهـرا، بمــهـجـةٍ حَـرّا
بـأن نـغصّ وقـال الـدهـرُ آمـيـنـا
فحـالتِ الأحـوالْ　　عـن ذلـك العهـدِ
وقطّعـتْ آمـال　　مُعـذَّبِ الصـدِّ
وعـزَّ لمـعُ الآل　　ظـمـآن للـورد
وأوجهُ الـقـصـدِ، عـادت من الـبُـعـدِ
سُـودًا وكـانت بـكم بِـيـضًا لـيـالـيـنـا

****

هيهات تقضى[1]

هـيـهـات تُـقـضى كـمـا نـهـوى أمـانـيـنـا
ودونـــهـــا حـــال ســعـيٌ من أعـــاديــنـــا
فـمـا الـذي أرتجـيه بـعـدمـا حـكـمتْ
أيـدي الـعِـدى بـبـعـادٍ من تـهـانـيـنـا
وعـــهـــدُ ولادةٍ أني أُواصـــلـــهـــا
بمـــا يـــطـــيب بـــريّـــاه تلاقـــيـــنـــا
ومـــا درتْ أنـــني وافـــيتُ أُودعـــهـــا
قـلـبي بـتـوديـعـهـا طـوعـاً لـوالـيـنـا
سـعيُ الـعِـدى ساءني عـنـد المـلـيكِ بـهـا
والـدهـرُ عـونٌ لـهـا لا كـان سـاعـيـنـا
يـــا من هـــواهـــا غـــريمي لم يـــطل أملٌ
بـــأن نـــشمَّ وروداً أو ريـــاحـــيـــنـــا
فـابـقي عـلى الـودّ فـالأفـكـارُ تجـمـعـنـا
إذا غـدتْ ألـسنُ الـشـكـوى تُـنـاجـيـنـا
يـــا ربّـــةَ الـــوجـهِ الجـــمـــيلْ
قـــد راعـــني خَـــطبٌ جـــلـــيلْ
وافى بـــأنـــواع الـــعَـــنـــا
في مـــهـــجـــتي أضـــحى نـــزيل

☆☆☆☆

(١) من مسرحية «رواية الوزير أبي الوليد ابن زيدون مع ولادة بنت المستكفي» للشيخ إبراهيم الأحدب، والأبيات على

دور

يــا مــنــيــتي ســعيُ الــعِــدا
ظُــلــمــاً عــلــيــنــا قــد عَــدا
والــــقــــلبُ أورده الــــرّدى
روعٌ يــــقــــول ولا يُــــقــــيلْ

☆☆☆☆

دور

وافــيتُ صــبّــاً ذات الــتــيــاعْ
أقــضي حــقــوقــاً لــلــوداعْ
هل بــعــده يُــقــضى اجــتــمــاعْ
ويــفــوز بــالــقــرب الخــلــيلْ

****

جادت علينا ليالينا[1]

جـادتْ عـلـيـنـا بما تـهـوى لـيـالـيـنـا
وقـد حـبـتْـنـا الـذي نـرجـو أمـانـيـنـا
وهـــذه وردُ روحُ الـــقـــلـبِ طـــوعُ يـــدي
قـد أوردتـنـي بـطـيـب الـقـلبِ نـسـريـنـا
والـــعـــينُ قَـــرّتْ ونـــفـــسي أدركتْ وَطَـراً
ونـضّـرتْ أوجهُ الـبـشـرى تـهـانـيـنـا
ونـــلـتُ أســـرارَ آمـــالٍ وصـــلـتُ بـــهـــا
لحـضـرةٍ مـكّـنتْ بـالـكـشف تـمـكـيـنـا
فـيـا مـنـى الـنـفسِ هـاتي مـا به طـربي
وأعـربي لـسـرور الـقـلبِ تـلـحـيـنـا

****

(١) من كتاب «مسرحيات الشيخ إبراهيم الأحدب» /٣٧٧، وقد نظم الشاعر الأبيات على لسان الشاعر ديك الجن الحمصي.

في أرض أندلس[1]

المعتمد:

في أرض أنــدلسٍ تــزهــو مــعــالــيــنــا
وتـنـثـني في الـوغى عُـجْـبـاً عـوالـيـنـا
وقد بـلـغـنـا من الـعـلـيـاء مـا قـصـرتْ
عــنـه الأمــانيّ ممّن لا يُــوالــيــنــا
تــمــتــدّ كفُّ الــثـريّـا دون سـؤددنـا
فلا تــنــال الــذي نــالت أيــاديــنــا
راقت مــنــاهــلُــنــا لــلــواردين ومــا
خــاب امـرؤٌ جـاء ظـمـآنـاً يُـرجّـيـنـا
وكم سـرتْ زُمـراً من نـحـونـا الـشُّـعَـرا
كـالـنمل تُـبدي المعـاني من مـعـانـيـنـا
فـقـبل فـتحِ الـلَّـهى مـنـهـا يـتـمّـمـهـا
مـنـهـا الـلُّهى بـندًى يُـهـدي أفـانـيـنـا
وكم لــنــا في الــورى من بــذل عــارفـةٍ
بـنـشـرهـا سار نـفحُ الـطـيبِ يُـذكـيـنـا
إنـا بـنـيـنـا عـلى هـام الـسُّـهى رُتَـبـاً
عـلتْ بـأفق مـعـالـيـهـا مـبـانـيـنـا
وخـضـرُ أكـفـانـنـا يـحـيـا الـزمـانُ بـهـا
وبـيـضُ أيـامـنـا تجـلـو لـيـالـيـنـا
فــيــا بلابلَ أغــصــانِ الــســرورِ ألا
مـنـكنَّ مَـغـنًّى به تـزهـو مَـغـانـيـنـا
فـقـد تـطـاولَ عـهـدي بـالـصـفـا زمـنـاً
إذ في الـوغى بُـدّلتْ نَـوْحـاً أغـانـيـنـا
وعن ســوالف أوقــاتٍ بــكنَّ مــضتْ
في الـروع ألـهتْ أيـاديـنـا مـواضـيـنـا

---

(١) هذه الأدبيات من «رواية المعتمد بن عباد» لإبراهيم الأحدب.

أطـربـنَـني حـسبَ عـادات لـكنَّ سـمتْ
ونـسـأل الـلـهَ لـطـفـاً مـنه يـكـفـيـنـا

جارية المعتمد:

مــولاي عــزّ لــقـانـا بـالـسـرور وقـد
«أضـحـى الـتـنـائي بـديلاً من تـدانـيـنـا»
وراعـنـا الـدهـرُ بـالأحـزان بـعـدكمُ
«ونـاب عن طـيب لـقـيـانـا تجـافـيـنـا»
كـمـا غـدتْ بـالـنـوى أيـامُـنـا أسـفـاً
«سُوداً وكـانت بكم بِـيضـاً لـيـالـيـنـا»
أحـيـيـتـمـونـا بـأنـواع الـسـرورِ فـمـا
«كـنـتم لأرواحـنـا إلا ريـاحـيـنـا»
فـالآنَ نـشـكـر في مـغـنى مـطـالـعـنـا
«بـيضَ الأيـادي الـتي مـا زلتَ تُـولـيـنـا»

****

أحمد شوقي

فراقية أحمد شوقي

يــا نــائحَ الــطــلحِ أشــبــاهٌ عَــواديــنــا
نَـشـجى لـواديكَ، أم نـأسى لـواديـنـا؟
مــاذا تــقصّ عــلــيــنــا غــيــرَ أن يــدًا
قـصّتْ جـنـاحَكَ جـالت في حـواشـيـنـا؟
رمى بــنــا الــبــينُ أيــكًا غــيــرَ ســامــرنــا
أخــا الــغــريبِ وظلاً غــيــرَ نــاديــنــا
كلُّ رمــتْه الــنــوى، رِيشَ الــفــراقُ لــنــا
ســهــمــاً، وسُلَّ عــلــيكَ الــبــينُ سِكّــيــنــا
إذا دعــا الــشــوقُ لم نــبــرح بمــنــصــدعٍ
من الجــنــاحــين عيٌّ لا يــلــبّــيــنــا
فـإن يكُ الجـنسُ يـا ابنَ الـطـلحِ فـرّقـنـا
إن المــصــائب يــجــمــعنَ المــصــابــيــنــا

– أحمد شوقي بن علي بن أحمد شوقي.
– ولد في القاهرة عام ١٨٦٨ وتوفي عام ١٩٣٢ بالقاهرة.
– تعلّم في قسم الترجمة بمدرسة الحقوق، ثم تابع دراسة الحقوق في فرنسا.
– عُيِّن رئيساً للقلم الإفرنجي في ديوان الخديوي عباس، ثم نفي إلى إسبانيا بعد عزل الخديوي.
– بويع بإمارة الشعر عام ١٩٢٧.
– صدر له ديوان «الشوقيات»، بالإضافة إلى ست مسرحيات شعرية وبعض الكتب النثرية.
– تعجّ المكتبة العربية المعاصرة بعشرات المؤلفات عن حياته وشعره، والقصيدة أثبتناها مع الحواشي من ديوانه «الموسوعة الشوقية» المجلد (٥) ص ٣١٦ – ٣٢٤ بتحقيق الأستاذ إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، ١٩٩٤م.

لم تــألُ مــاءكَ تَــحــنــانــاً، ولا ظــمــأً
ولا ادِّكــاراً ولا شـــجــواً أفـــانــيـــنــا
تَـــجـــرُّ من فـــنٍ ســـاقـــاً إلـى فـــنٍ
وتــســحــب الــذيلَ تــرتــاد المــؤاســيــنــا
أُســاةُ جــســمكَ شــتّى حــين تــطــلــبــهم
فــمن لــروحكَ بــالــنُّــطْس الــمُــداويــنــا؟

✡✡✡✡

آهـــاً لـــنـــا نـــازحي أيكٍ بـــأنـــدلسٍ
وإن حــلــلــنــا رفــيــفــاً من روابــيــنــا
رسمٌ وقــفــنــا عــلـى رسم الــوفــاءِ له
نجــيش بــالــدمع والإجلالُ يــثــنــيــنــا
لــفــتــيــةٍ لا تــنــال الأرضُ أدمــعَــهم
ولا مـــفـــارقَـــهم إلا مُـــصــلّـــيــنـــا
لــو لم يــســودوا بــدينٍ فــيه مــنــبــهــةٌ
لــلــنــاس كــانت لــهم أخلاقُــهم دِيــنــا
لم نـــســـرِ من حـــرمٍ إلا إلى حـــرمٍ
كــالخــمــر من بــابلٍ ســارت لــداريــنــا
لمــا نــبــا الخــلــدُ نــابت عــنه نــســخــتُه
تــمــاثلَ الــوردُ خِــيْــريّــاً ونِــســريــنــا
نــســقي ثــراهم ثــنــاءً كــلــمــا نُــثِــرتْ
دمــوعُــنــا نُــظِــمتْ مــنــهــا مــراثــيــنــا
كــادت عــيــونُ قــوافــيــنــا تُــحــرّكه
وكــدنَ يُــوقــظنَ في الــتُّــرْب الــسلاطــيــنــا
لــكنّ مــصــرَ وإن أغــضتْ عــلى مِــقِــةٍ
عــينٌ من الخــلــد بــالــكــافــور تــســقــيــنــا

عــلــى جــوانــبــهــا رقّتْ تــمــائــمُــنــا
وحــول حــافــاتــهــا قــامت رواقــيــنــا
ملاعبٌ مــرحتْ فــيــهــا مــآربُــنــا
وأربُعٌ أنــستْ فــيــهــا أمــانــيــنــا
ومــطــلــعٌ لــســعــودٍ من أواخــرنــا
ومــغــربٌ لجُــدود من أوالــيــنــا
بِــنّــا فــلم نــخلُ من رَوْحٍ يُــراوحــنــا
من بَــرِّ مــصــرَ وريــحــانٍ يُــغــاديــنــا
كــأمِّ مُــوسى عــلى اسم الــلهِ تــكــفــلــنــا
وبــاســمه ذهــبتْ في الــيمّ تــلــقــيــنــا
ومــصــرُ كــالــكَــرْم ذي الإحــســانِ فــاكــهــةٌ
لحــاضــرين، وأكــوابٌ لــبــاديــنــا

✵✵✵✵✵

يــا ســاريَ الــبرقِ يــرمي عن جــوانــحــنــا
بــعــدَ الــهدوءِ، ويــهــمي عن مــآقــيــنــا
لمــا تــرقــرقَ في دمع الــســمــاءِ دمــاً
هــاج الــبُكــا، فــخــضبــنــا الأرضَ بــاكــيــنــا
الــلــيلُ يــشــهــد لم نــهــتك ديــاجــيَهُ
عــلى نــيــامٍ، ولم نــهــتف بــســالــيــنــا
والــنــجمُ لم يــرنــا إلا عــلــى قــدمٍ
قــيــامَ لــيل الــهــوى، لــلــعــهــد راعــيــنــا
كــزفــرةٍ في ســمــاء الــلــيلِ حــائــرةٍ
ممّــا نُــردّد فــيــه حــين يُــضــويــنــا
بــالــله إن جُــبْتَ ظــلــمــاءَ الــعــبــابِ عــلى
نجــائبِ الــنــورِ مَــحــدّواً بــجِــبــريــنــا

تـــردّ عـــنكَ يــــداه كلَّ عـــاديــــةٍ
إنـسـاً يـعـثنَ فـسـاداً، أو شـيـاطـيـنـا
حـتى حـوتكَ سـمـاءُ الـنـيلِ عـالـيـةً
عـلى الـغـيـوث، وإن كـانت مـيـامـيـنـا
وأحــــرزتكَ شـــفـــوفُ اللازوردِ عـــلى
وشـيِ الـزبـرجـدِ من أفـواف واديـنـا
وحـــازكَ الـــريفُ أرجــاءً مُـــؤرَّجـــةً
ربتْ خـمـائلَ، واهـتـزّتْ بـسـاتـيـنـا
فـقفْ إلى الـنـيل، واهـتفْ في خـمـائـلهِ
وانـزلْ كـمـا نـزل الـطلُّ الـريـاحـيـنـا
وآسِ مـا بـات يــذوي من مـنــازلــنـا
بـالحـادثـات ويَـضـوى من مَـغـانـيـنـا

✡✡✡✡✡

ويـا مُـعـطَّـرةَ الـوادي سـرتْ سَـحَـراً
فــطــاب كلُّ طَــروحٍ من مَـــرامـــيـــنـا
زكـيّـةَ الـذيلِ لـو خـلـنـا غلالـتَـهـا
قـمـيصَ يـوسفَ لم نُـحـسَب مُـغـالـيـنا
جُشِّمتِ شوكَ الـسُّرى حـتى أتـيتِ لـنا
بـالـورد كُـتْـبـاً وبـالـرَيّا عـنـاويـنـا
فـلـــو جـزيـنـاكِ بـالأرواح غـالـيـةً
عن طيب مَسراكِ لم تـنـهض جـوازيـنـا
هل من ذيـــولكِ مِـــسْـكيٌّ نـــحـــمّـــله
غـرائبَ الـشـوقِ وَشْـيًـا من أمـالـيـنـا؟
إلى الـــذين وجـــدنـــا وُدَّ غـــيـــرهمُ
دنـيـا وودَّهـمُ الـصـافي هـو الـدِّيـنـا

✡✡✡✡✡

يـا من نـغـار عـلـيـهم من ضـمـائـرنـا
ومن مَـصـون هـواهم في تـنـاجـيـنـا
نـاب الحـنـينُ إلـيـكم في خـواطـرنـا
عن الـدلال عـلـيـكم في أمـانـيـنـا
جـئـنـا إلى الـصـبـر نـدعـوه كـعـادتـنـا
في الـنـائـبـات فـلـم يـأخـذ بـأيـديـنـا
ومـا غُـلـبـنـا عـلى دمعٍ، ولا جـلـدٍ
حـتى أتـيـنـا نَـواكم من صـيـاصـيـنـا
ونـابـغـيٍّ كـأن الحـشـرَ آخـرُه
تُـمـيـتـنـا فـيه ذِكـراكم وتُـحـيـيـنـا
نـطـوي دجـاه بـجـرحٍ من فـراقـكمُ
يـكـاد في غَـلَس الأسـحـارِ يـطـويـنـا
إذا رسـا الـنـجمُ لم تـرقـأ مـحـاجـرُنـا
حـتى يـزولَ ولم تـهـدأ تـراقـيـنـا
بـتـنـا نـقـاسي الـدواهي من كـواكـبهِ
حـتى قـعـدنـا بـهـا حـسـرى تُـقـاسـيـنـا
يـبـدو الـنـهـارُ فـيُـخـفـيه تجـلُّـدنـا
لـلـشـامـتـين ويـأسـوه تَـأسّـيـنـا

✡✡✡✡✡

سـقـيـاً لـعـهـدٍ كـأكـنـاف الـربى رِفـةً
أنّى ذهـبـنـا، وأعـطـافِ الـصِّـبـا لِـيـنـا
إذِ الـزمـانُ بـنـا غـيـنـاءُ زاهـيـةٌ
تـرفّ أوقـاتُـنـا فـيـهـا ريـاحـيـنـا
الـوصلُ صـافـيـةٌ والـعـيشُ نـاغـيـةٌ
والـسـعـدُ حـاشـيـةٌ والـدهـرُ مـا شِـيـنـا

والشمسُ تختال في العِقيان تحسبها
بلقيسَ ترفل في وشي اليمانينا
والنيلُ يُقبل كالدنيا إذا احتفلتْ
لو كان فيها وفاءٌ للمُصافينا
والسعدِ لو دام والنّعمى لو اطّردتْ
والسيلِ لو عفَّ، والمقدارِ لو دِينا
ألقى على الأرض حتى رَدَّها ذهباً
ماءً لمسنا به الإكسيرَ أو طِينا
أعداه من يُمنه التابوتُ وارتسمتْ
على جوانبه الأنوارُ من سِينا
له مبالغُ ما في الخَلْق من كرمٍ
عهدُ الكرامِ وميثاقُ الوفيّينا
لم يجرِ للدهر إعذارٌ ولا عُرُسٌ
إلا بأيّامنا أو في ليالينا
ولا حوى السعدُ أطغى في أعنّتهِ
منا جِياداً ولا أرخى ميادينا
نحن اليواقيتُ خاض النارَ جوهرُنا
ولم يهنْ بيد التشتيتِ غالينا
ولا يحول لنا صِبغٌ ولا خُلقٌ
إذا تلوَّنَ كالحِرباء شانينا
لم تنزلِ الشمسُ ميزاناً ولا صعدتْ
في مُلكها الضخم عرشاً مثلَ وادينا
ألم تُؤلَّه على حافاته ورأتْ
عليه أبناءها الغُرَّ الميامينا؟
إن غازلتْ شاطئيه في الضحى لَبِسا
خمائلَ السندسِ الموشيّةَ الغِينا

وبـــات كلُّ مُـــجـــاج الـــوادِ من شـــجـــرٍ
لـوافظَ الـقـزِّ بـالخِـيـطـان تـرمـيـنـا
وهـــذه الأرضُ من ســـهلٍ ومن جـــبلٍ
قـبل الـقـيـاصـر دنّـاهـا فَـراعِـيـنـا
ولم يـضع حـجـراً بـانٍ عـلى حـجـرٍ
في الأرض إلا عـلى آثـار بـانـيـنـا
كـأن أهـرام مـصـرٍ حـائطٌ نـهـضتْ
به يـدُ الـدهـرِ لا بـنـيـانُ فـانِـيـنـا
إيـوانُه الـفـخـم من عُـلـيـا مـقـاصـرِه
يُـفـني المـلـوكَ ولا يُـبـقي الأواويـنـا
كـأنـهـا ورمـالاً حـولـهـا الـتـطـمتْ
سـفـيـنـةٌ غـرقتْ إلا أسـاطـيـنـا
كـأنـهـا تحت لألاء الـضـحى ذهـبـاً
كـنـوزُ فـرعـونَ غـطَّـينَ المـوازيـنـا

☼☼☼☼☼

أرضُ الأبـوّةِ والمـيلادِ طَـيَّـبَـهـا
مَـرُّ الـصَّـبـا في ذيـولٍ من تـصـابـيـنـا
كـانت مُـحـجـلّـةً فـيـهـا مـواقـفُـنـا
غُـرّاً مـسـلـسـلـةَ المجـرى قـوافـيـنـا
فـآبَ من كُـرة الأيـامِ لاعـبُـنـا
وثـاب من سِـنَـةِ الأحلامِ لاهـيـنـا
ولم نـدع لـلّـيـالي صـافـيـاً فـدعتْ
بـأن نـغصَّ فـقـال الـدهـرُ: آمـيـنـا
لـو استطعنا لخُضنا الجوَّ صاعقةً
والـبـرَّ نـارَ وغًى والـبـحـرَ غِـسْـلـيـنـا

سعياً إلى مصرَ نقضي حقَّ ذاكرنا
فيها إذا نسيَ الوافي وباكينا
كنزٌ بحُلوانَ عند اللهِ نطلبه
خيرَ الودائعِ من خير المؤدّينا
لو غاب كلُّ عزيزٍ عنه غَيْبَتنا
لم يأتهِ الشوقُ إلا من نواحينا
إذا حملنا لمصرٍ أو له شجناً
لم ندرِ: أيُّ هوى الأُمَّيْن شاجينا؟

****

إسماعيل صبري

يا وامض البرق

يــا وامضَ الــبــرقِ كم نــبّــهتَ من شــجنٍ
في أضــلـعٍ ذهــلـتْ عن دائــهــا حــيــنــا
فـــالمـــاءُ في مُـــقلٍ والـــنـــارُ في مُـــهجٍ
قـد حــار بــيــنــهـمــا أمــرُ المحــبّــيــنــا
لـــولا تـــذكّـــرُ أيـــامٍ لـــنـــا ســـلـــفتْ
مـا بـات يـبـكي دمـاً في الحيّ بـاكـيـنـا
يـــا آلَ ودّيَ عُـــودوا لا عـــدمـــتـــكمُ
وشـاهـدوا ويـحَـكم فـعلَ الـنـوى فـيـنـا
يـا نـسـمـةً ضَـمَّـختْ أذيـالَـهـا سَـحـراً
أزهـــارُ أنـــدلسٍ هُـــبّي بـــواديـــنـــا

****

– ولد في القاهرة عام ١٨٥٤، وتوفي عام ١٩٢٣.

– درس الحقوق بفرنسا.

– من شيوخ الإدارة والقضاء بمصر، ومن شعراء الطبقة الأولى في عصره.

– صدر له «ديوان إسماعيل صبري» بعد وفاته. انظر: مختارات البابطين ٣/٣٧٣.

السيد رضا الموسوي الهندي

ساق المطايا حادينا

ساق المطايا بنا للشام حادينا
ولا مُحامٍ لنا إلا أعادينا
لم يبقَ من إخوتي حامٍ فيحمينا
أضحى التنائي بديلاً من تدانينا
وجار حكمُ الليالي بعدهم فينا
فسوف نقضي الليالي بعدهم أرقا
ونملأ القلبَ من تذكارهم حُرَقا
كُنّا جميعاً فأضحى جمعُنا فرقا
سرعانَ ما عاد ذاك الشملُ مُفترِقا
وناب عن طيب لقيانا تجافينا
هل ينجلي ليلُ همّي عن صباحهمُ
وهل لهم غدوةٌ عُقبى رواحهمُ
وكيف والأرضُ فاضت من جراحهمُ
من مُبلغُ الملبسينا بانتزاحهمُ
وَجْداً يبزّ كَرانا من مآقينا

– السيد رضا بن محمد بن هاشم الهندي.
– ولد في النجف، ثم انتقل إلى سامراء.
– أديب وشاعر، له مجموعة من المؤلفات، منها ديوانه الذي أخذنا عنه هذه القصيدة في الصفحة ٤٨ – ٤٩.
– ولد سنة ١٨٧٣م، وتوفي في الفيصلية، ودفن بالنجف عام ١٩٤٣م.
– انظر للمزيد عنه – ديوانه بعنوان «ديوان السيد رضا الموسوي الهندي» دار الأضواء، ط (١) ١٩٨٨، بيروت، لبنان.

كم من يـدٍ بـعـدهم مُـدَّتْ لـتـسـلـبَـنـا
سـترَ الـوجوهِ وضربُ السوطِ جلبَبنا
وأظـمـأونـا فـعـاد الـدمعُ مَـشـربَـنـا
وقـد خـلـعـنـا رداءَ الـصـبـرِ أعـقـبـنـا
ثـوبـاً من الحـزن لا يـبـلى ويُـبـلـيـنـا
يـا من تـفـانَـوْا إلى جـنب الـفـراتِ ظـمـا
وروَّوا الـبـِيضَ في يـوم الـكـفـاحِ دمـا
مـضَـوْا عـطـاشى ولـكن روَّوا الـخـذمـا
لـيُـسْقَ عـهـدُكمُ صـوبَ الـغـمـامِ فـمـا
سـقـاكمُ الـنـهـرُ عـذبَ المـاءِ ظـامـيـنـا
كـنّـا وكـنـتم وكـان الـعـيشُ قـد نـعـمـا
بـكم وثـغـرُ الـلـيـالي كـان مـبـتـسـمـا
كـنـا لـكم يـا أحـبّـاءَ الـنـفـوسِ كـمـا
كـنـتم لأنـفـسـنـا أنـفـاسَـهنَّ ومـا
كـنـتم لأرواحـنـا إلا ريـاحـيـنـا
فـالـهمُّ طـولَ الـلـيـالي لا يُـبـارحـنـا
والـذكـرُ إن لا يُـمـاسـيـنـا يُـصـابـحُـنـا
نـال الـشـمـاتـةَ فـيـنـا الـيـومَ كـاشـحُـنـا
بِـنـتمُ وبـنّـا فـمـا ابـتـلّتْ جـوانـحـنـا
كلا ولا أورقتْ يـومـاً أمـانـيـنـا
كـنّـا ولا حـادثـاتُ الـدهـرِ تـطـرقـنـا
ولا لـيـالـيه بـالأرزاء تـرمـقـنـا
والـيـومَ عـادت سـهـامُ الخـطبِ تـرشـقـنـا
بـالأمس كـنـا ولا يُـخـشى تَـفـرُّقـنـا
والـيـومَ نـحن ولا يُـرجى تلاقـيـنـا

كم أنجمٍ مـنـكـمـو فـوق الـثـرى ركـدتْ
وكم بُـدورٍ بـأبـراج الـرمـاحِ بـدتْ
وقـد أفـلـتم وفـيـكم كـربلا سـعـدتْ
حـالت لـفـرقـتـكم أيـامُـنـا فـغـدت
سُـوداً وكـانت بـكم بِـيـضـاً لـيـالـيـنـا

****

إلياس طعمة

الأندلسية

يـــا أرضَ أنــدلسَ الـخــضــراءَ حــيِّــيــنــا
لــعلّ رُوحــاً من الـحــمــراء تُــحــيــيــنــا
فــيكِ الــذخــائــرُ والأعلاق بــاقــيــةٌ
من المــلــوك الــطــريــدين الــشــريــديــنــا
مــنـــا الـــسلامُ عــلــى مــا فــيكِ من رِممٍ
ومن قـــبـــورٍ وأطلالٍ تُـــصــابــيــنــا
لــقــد أضــعــنــاكِ في أيــام شــقــوتــنــا
ولا نــزال مُــحــبّــيكِ المــشــوقــيــنــا
هــذي ربــوعكِ بــعــد الأنسِ مــوحــشــةٌ
كــأنــنــا لم نــكن فــيــهــا مُــقــيــمــيــنــا
من دمــعــنــا قــد ســقــيــنــاهــا ومن دمــنــا
فــفي ثــراهــا حُــشــاشــاتٌ تُــشــاكــيــنــا

– إلياس بن عبدالله بن إلياس بن فرج بن طعمة (أبو الفضل الوليد).
– شاعر من أدباء لبنان الذين هاجروا إلى أمريكا.
– ولد سنة ١٨٨٩ بقرية تدعى «قرنة الحمراء» وتوفي سنة ١٩٤١.
– عاد إلى لبنان بعد إسلامه وتغيير اسمه.
– له عدد من المؤلفات، منها ديوانه الشعري.
– لجورج طعمة دراسة بعنوان «أبو الفضل الوليد: إلياس عبدالله طعمة، شاعر الحمراء»، نشر دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٣.
– للدكتورة سعاد عبدالوهاب دراسة بعنوان «ثلاث نونيات في الحنين إلى الأوطان»، نشر مجلس النشر العلمي بجامعة الكويت، الحولية، الرسالة ١٨٤. وفي هذه الدراسة كان لها حديث عن نونية الشاعر المذكور أعلاه.
– تخيّر محمد بوذينة اثنين وخمسين بيتاً من هذه القصيدة ووضعها في كتابه «نونية ابن زيدون» الصفحة ٦٠ – ٦٢.
– أخذت القصيدة من ديوان الشاعر بعنوان «ديوان أبي الفضل الوليد الياس عبدالله طعمة (الجندي المجهول) راجعه

عادت إلى أهلها تشتاق فتيتَها
فأسمعتْ من غناء الحبّ تلحينا
كانت لنا فعنتْ تحت السيوفِ لهم
لكنّ حاضرَها رسمٌ لماضينا
في عزّنا حبلتْ منا فصُورتُنا
محفوظةٌ أبداً فيها تُعزّينا
لا بدعَ إن نشقَتْنا من أزاهرها
طيباً فإنا ملأناها رياحينا
وإن طربنا لألحانٍ تُردّدها
فإنها أخذتْ عنّا أغانينا
تاقت إلى اللغة الفصحى وقد حفظتْ
منها كلاماً بدتْ فيه مَعانينا
إنا لنذكر نُعماها وتذكرنا
فلم يضع بيننا عهدُ المحبّينا
في البرتغال وإسبانيّةَ ازدهرتْ
آدابُنا وسمتْ دهراً مَبانينا
وفي صقليّةَ الآثارُ ما برحتْ
تبكي التمدّنَ حيناً والعُلى حينا
كم من قصورٍ وجنّاتٍ مزخرفةٍ
فيها الفنونُ جمعناها أفانينا
وكم صروحٍ وأبراجٍ ممرَّدةٍ
زدنا بها الملكَ توطيداً وتأمينا
وكم مساجدَ أعلينا مآذنَها
فأطلعتْ أنجماً منها معالينا
وكم جسورٍ عقدنا من قناطرها
أقواسَ نصرٍ على نهرٍ يُرئّينا

تلك البلادُ استمدّتْ من حضارتنا
ما أبدعتْه وأولتْه أياديـنا
فيها النفائسُ جاءت من صناعتنا
ومن زراعتنا صارت بساتينا
فأجدبتْ بعدنا واستوحشتْ دِمَناً
تصبو إلينا وتبكي من تنائينا
أيامَ كانت قصورُ الملكِ عاليةً
كان الفرنجُ إلى الغابات آوينا
وحين كنّا نجرّ الخزَّ أرديةً
كانوا يسيرون في الأسواق عارينا
لقد لبسنا من الأبراد أفخرَها
لما جررنا ذيولَ العصبِ تزيينا
وقد ضفرنا لإدلالٍ ذوائبَنا
لما حمينا المغاني من غوانينا
وقد مسحنا صنوفَ الطيبِ في لممٍ
لما ادّرعنا وأسرجنا مَذاكينا
كلُّ الجواهرِ في لبّات نسوتنا
صارت عُقوداً تزيد الدُرَّ تثمينا
وأكرمُ الخيلِ جالت في معاركنا
وإذ خلا الجوُّ جالت في مراعينا
تردي وقد علمتْ أنا فوارسُها
ولا تزال لنعلوها وتُعلينا
زدنا السيوفَ مضاءً من مضاربنا
ومن مطاعننا زدنا القَنا لِينا
مَن للكتائب أو من للمواكب أو
من للمنابر إلا سادةٌ فينا

جـــاءت من الملأ الأعــلى قــصـــائــدُنـــا
والــرومُ قــد أخــذوا عــنّــا قــوافــيــنــا
لم يــعــرفــوا الــعــلمَ إلا من مــدارســنــا
ولا الـــفـــروســـةَ إلا من مَـــجـــاريـــنـــا
أعــلى المــمــالكِ داســتــهــا جــحــافلُــنــا
وسـرّحتْ خـيلَـنـا فـيـهـا سـراحـيـنـا
تــلك الجــيــادُ بــأبــطــال الــوغى قــطــعتْ
جــبــالَ بــرنــاتَ وانــقــضّتْ شــواهــيــنــا
في أرض إفــرنــســةَ الــقــصــوى لــهــا أثــرٌ
قــد زاده الــدهــرُ ايــضــاحــاً وتــبــيــيــنــا
داست حــوافــرُهــا ثــلــجــاً كــمــا وطــئتْ
رملاً وخــاضت عــبــابــاً في مــغــازيــنــا
الــشــمسُ مــا أشــرقتْ من عــلــو مــطــلــعــهــا
إلا رأتـــنـــا إلى الأوطـــار ســـاعـــيـــنـــا
كــسرى وقــيــصــرُ قد فــرّتْ جــيــوشُــهــمــا
لــلــمــرزبــان ولــلــبــطــريق شــاكــيــنــا
حــيث الــعــمــامــةُ بــالــتــيــجــان مــزريــةٌ
من يــوم يــرمــوكَ حــتى يــومِ حِــطّــيــنــا
ولـــلـــعـــروش طــــوافٌ بـــالـــســـريـــر إذا
قـام الخـلـيـفـةُ يـعـطي الـنـاسَ تـأمـيـنـا
بـــعـــد الخلافـــةِ ضـــاعت أرضُ أنـــدلسٍ
ومـا وقى الـعـربُ الـدنـيـا ولا الـديـنـا
المـــلكُ أصـــبح دعـــوى في طـــوائـــفـــهم
واسـتـمـسـكوا بـعُرى الـلـذاتِ غـاويـنـا
وكلُّ طـــائـــفـــةٍ قـــد بـــايـــعتْ مـــلـــكــاً
لم يُـلفِ من غـارة الإسـبـانِ تحـصـيـنـا

وهـكـذا يـفـقـد الـسـلـطـانُ هـيـبـتَه
إنْ أكـثـرَ الـقـومُ بـالـفـوضى الـسلاطـيـنـا
والرأيُ والبـأس عند الـناسِ ما ائـتلفوا
لـكنْ إذا اخـتـلـفـوا صـاروا مـجـانـيـنـا
تـــقـــلّصَ الـــظلُّ عن جـــنّـــات أنـــدلسٍ
وحـطّمَ الـسـيفُ مـلكَ المـسـتـنـيـمـيـنـا
فـمـــا المـــنـــازلُ بـــالـــبـــاقـــين آهـــلـــةٌ
ولا المـسـاجـدُ فـيـهـا لـلـمـصـلّـيـنـا
لن تَـرجـعنَّ لـنـا يـا عـهـدَ قـرطـبـةٍ
فـكـيف نـبـكي وقـد جـفّتْ مـآقـيـنـا
ذَبّـلتَ زهـراً ومن ريّـاكَ نـشـوتُـنـا
وإنّ ذكـراكَ في الـبـلـوى تُـسـلّـيـنـا
مـا كـان أعـظـمَـهـا لـلـمـلك عـاصـمـةً
وكـان أكـثـرَهـا لـلـعـلم تـلـقـيـنـا
لم يـبقَ مـنـهـا ومن مُـلْكٍ ومن خـولٍ
إلا رســومٌ وأطــيــافٌ تُــبــاكــيــنــا
والـدهـرُ مـا زال في آثـار نـعـمـتـهـا
يـروي حـديـثـاً له تـبـكي أعـاديـنـا
أين المـلـوكُ بـنـو مـروانَ سـاسـتُـهـا
يُـضـحـون قـاضـينَ أو يُـمـسـونَ غـازيـنـا
وأين أبـنـاءُ عـبّـادٍ ورونـقُـهم
وهم أواخـر نـورٍ في ديـاجـيـنـا
يـا أيـهـا المـسـجـدُ الـعـاني بـقـرطـبـةٍ
هلاّ تُـذكّـركَ الأجـراسُ تـأذيـنـا
كـان الخـلـيـفـةُ يمـشي بـين أعـمـدةٍ
كـأنه الـلـيث يمـشي في عِـفـرّيـنـا

إن مـــال مـــالت به الــغــبــراءُ واجــفــةً
أو قــال قــالت له الــعــلــيــاءُ آمــيــنــا
يــا ســائــحــاً أصــبــحتْ حــجّــاً قــيــافــتُه
قِفْ بــالــطــلــول وســلْــهــا عن مَلاهــيــنــا
بــعــد الــنــعــيمِ قــصــورُ المــلــكِ دارســةٌ
وأهــلُــهــا أصــبــحــوا عــنــهــا بــعــيــديــنــا
فلا جــمــالٌ تــروق الــعــينَ بــهــجــتُه
ولا عــبــيــرٌ مع الأرواحِ يــأتــيــنــا
صــارت طــلــولاً ولــكنّ الــتي بــقــيتْ
تــزداد بــالــذكــر بــعــد الحسنِ تحــســيــنــا
تــلك الــقــصــورُ من الــزهــراء طــامــســةٌ
وبــالــتــذكّــر نــبــنــيــهــا فــتُــنــبــيــنــا
عــلــى المــمــالك مــنــهــا أشــرفتْ شُــرَفــاً
والمــلكُ يــعــشق تــشــيــيــداً وتــزيــيــنــا
وعــبــدُ رحــمــانِــهــا يــلــهــو بــزخــرفــهــا
والــفنُّ يــجــمع فــيــهــا الــهــندَ والــصــيــنــا
كــانت حــقــيــقــةَ ســلــطــانٍ ومــقــدرةٍ
فــأصــبــحتْ في الــبــلى وهــمــاً وتــخــمــيــنــا
عــمــائمُ الــعــربِ الأمــجــادِ مــا بــرحَتْ
عــلى المــطــارف بــالــتــمــثــيل تُــصــبــيــنــا
وفي المحــاريب أشــبــاحٌ تــلــوح لــنــا
وفي المــنــابــر أصــواتٌ تــنــاديــنــا
يــا بــرقُ طــالــعْ قــصــوراً أهــلُــهــا رحــلــوا
وحَيِّ أجــداثَ أبــطــالٍ مُــنــيــخــيــنــا
أهــكــذا كــانت الحــمــراءُ مــوحــشــةً
إذ كــنتَ تــرمق أفــواجَ المــغــنّــيــنــا؟

ولــلــبــرود حــفــيـفٌ فــوق مَــرمــرهــا
وقـد تـضــوّعَ مـنــهـا مِـسكُ داريــنــا
ويــا غــمــامُ افـتـقـدْ جـنّــاتِ مُــرســيــةٍ
وروِّ من زهــرهـــا وَرْداً ونِــســريــنــا
وأمــطــرِ الــنــخلَ والــزيــتــون غــاديــةً
والـتــوتَ والـكـرم والـرمّــان والـتّــيـنـا
أُوصــيكَ خــيــراً بــأشــجــارٍ مُــقـدّســةٍ
لأنـــهــا كــلَّــهــا من غــرس أيــديــنــا
كــنّــا المــلــوكَ وكــان الــكــونُ ممــلــكــةً
فـكـيف صـرنـا المـمـالـيكَ المـسـاكـيـنـا
وفي رقــاب الــعــدى انـفـلّتْ صـوارمُــنــا
والـيـومَ قـد نـزعـوا مـنـا الـسـكـاكـيـنـا
لـيـست بـسـالـتُـنـا في الـحـرب نـافـعـةً
ومن بــراقــيــلــهم نــلــقى طــواحــيــنــا
فـلــو فـطــنّـا لـقـابـلـنـا قـذائـفَـهم
بمـثـلـهـا وامـتـنـعـنـا في صـيـاصـيـنـا
واشــتــدَّ عــسـكـرُنـا يـحـمي مـنـازلَـنـا
وارتـدَّ أسـطـولُـنـا يـحـمي شـواطـيـنـا
إذاً لــكـــانـــوا عـــلى بـــأسٍ ملائـــكـــةً
ومـا أتـونـا عـلى ضـعفٍ شـيـاطـيـنـا
فــنـــحـن في أرضـــنـــا أســـرى بلا أملٍ
والــدارُ كــالـــســجـن والجلاّدُ والــيــنــا
شـــادوا الــقلاعَ وشــدّوا من مــدافــعــهم
مــا يملأ الأرضَ نــيــرانــاً لــيُــفــنــيــنــا
بــعــد اعــتــداءٍ وتــدمــيــرٍ ومــجــزرةٍ
قـالـوا أمـانـاً فـكـونـوا مُـسـتـكـيـنـيـنـا

وكم يــقــولــون إنــا نــاصــبــونَ لــكم
مــيــزانَ عــدلٍ ولـم تُــوفــوا المــوازيــنــا
تَـحـكّـمـوا مـثـلـمـا شـاءت مـطـامـعُـهم
وصـيّـروا بـيـنـنـا الـتـهـويلَ تـهـويـنـا
فلا تُــغــرّنَّ بــالآمــال أنــفــسُــنــا
ولــلـفـرنــسـيس جَــوْسٌ في نـواحـيـنـا
هل يــســمــحــون ولــو صـرنــا ملائـكـةً
بــأن نــصــيــرَ لــهم يــومــاً مُــبــاريــنــا؟
لا يــعــرفــون الــتــراضي في هــوادتــنــا
ولا سلاحٌ به يُــخــشى تــقــاضــيــنــا
إن لم تـكن حـكـمـةٌ من عـلم حـاضـرنـا
أمــا لــنــا عِــبــرةٌ من جــهل مــاضــيــنــا؟
إنــا نــعــيش كــمــا عــاشت أوائــلُــنــا
ولا نُــريــد من الأعلاج تَــمــديــنــا
إنّ قـدّمـوا المنَّ والـسـلـوى عـلـى ضـرعٍ
نـخـتـرْ عـلـى الـعـزّ زقّـومـاً وغِـسـلـيـنـا
يــا مــغــربــيّــةُ يــا ذاتَ الخــفــارةِ يــا
ذاتَ الحــجـابِ الـذي فـيـه تُـصـانـيـنـا
صُدّي عن الـعـلـج واسـتـبـقي أخـا عربٍ
من وُلـد عـمّكِ يـهـوى الحُـورَ والـعِـيـنـا
يــا نــعمَ أنــدلــســيّــاً كــان جَــدُّكِ في
عـهـدِ الـنـعـيمِ وهـذا الـعـهـدُ يـشـقـيـنـا
خُـذي دمـوعي وأعـطـيـني دمـوعَ أسًى
طـال الـتـأسّي ومـا أجـدى تـأسّـيـنـا
ذكــرُ الــســعــادةِ أبــكــانــا وأرّقَــنــا
مـا كـنتُ لـولا الـهـوى أبـكي وتُـبـكـيـنـا

بـكى ابنُ زيـدونَ حـيث الـنـونُ أنّـتُه
ولم يـزل شـعـرُه يُـبـكي المـصـابـيـنـا
كم شـاقـني وتـصـبّـاني وأطـربـني
إذ كـنتِ ورقـاءَ في روضٍ تـنـوحـيـنـا
ومن دمـوعكِ هـاتـيكَ الـسـمـوطُ حـكتْ
أبـيـاتَ نـونـيّـةٍ فـيـهـا شـكـاويـنـا
ولاّدةُ اسـتـنـزفتْ أسـمى عـواطـفهِ
فـخـلّـد الحبَّ إنـشـاداً وتـدويـنـا
تـلكَ الأمـيـرةُ أعـطـتْه ظـرافـتَـهـا
فأخـرجَ الـشـعـرَ تـنـغـيـمـاً وتحـنـيـنـا
يـا بـنتَ عـمّي وفي الـقُـربى لـنـا وَطَـرٌ
صُـوني المحـيّـا وإنْ زرنـاكَ حـيّـيـنـا
لـيلُ الأسى طـال حـتى خـلتُ أنجـمَه
بـقـيّـةَ الـصبحِ تـبـدو من ديـاجـيـنـا
نـشـتـاق فـجـراً من الـنُّـعـمى وظـالـمُـنـا
يـقـول إنّ ضـيـاءَ الـفـجـرِ يـؤذيـنـا
فـلـنُـطـلـعنَّ إذنْ صـبحَ الـقـلـوبِ عـلى
لـيلِ الخـطـوبِ وهـذا الـنـورُ يـكـفـيـنـا
أمـا كـفـانـا بـفـقـد الملكِ نـائـبـةً
حـتى أتـانـا عـلـوجُ الـرومِ عـاديـنـا؟
عـدا عـلـيـنـا الـعـدى في بَـرّ عَـدْوتـنـا
وقـد رضـيـنـاه مـنـفىً في عـواديـنـا
فـيه الـفـرنـسـيسُ مـا انـفـكّتْ مدافـعُـهم
تُـمـزّق الـعـربَ الـعـزلَ المـروعـيـنـا
فـوسطَ مـرّاكشَ الـكـبـرى لـقـائـدهم
دستٌ وقـد شـرَّدوا عـنـهـا الـسلاطـيـنـا

وفي الجزائر ما يُبكي العيونَ دماً
على أماجدَ خرّوا مُستميتينا
وفي طرابلسِ الغربِ استجدَّ لنا
وجدٌ قديمٌ وقد ضاعت أمانينا
وهذه تونسُ الخضراء باكيةٌ
ترثي بنيها المطاعيمَ المطاعينا
من الفرنسيس بلوانا ونكبتُنا
فهل يظلّون فينا مُستبدّينا
صهبُ ا لعثانينِ مع زُرق العيونِ بدتْ
شؤماً به حَدَثانُ الدهرِ يرمينا
فلا رأينا من الأحداق زرقتَها
ولا شهدنا من الصهب العثانينا
وا طولَ لهفي على قومٍ منازلُهم
تأوي العلوجَ ثقالاً مُستخفّينا
قد كافحوا ما استطاعوا دون حرمتها
ثم استكانوا على ضيمٍ مُطيعينا
لا يملكون دفاعاً في خصاصتهم
وينصرون الفرنسيسَ الملاعينا
أعداؤهم قطّعوا أوطانَهم إرباً
فأصبحوا مثلَ أنعامٍ مَسوقينا
هذا لعَمري لسخطُ اللهِ أو غضبٌ
من النبيّ على ساهين لاهينا
من ذا يُصدّق أنّ التائهين ثبىً
كانوا جيوشاً ترى الدنيا ميادينا
مشوا على ناعمٍ أو ناضرٍ زمناً
واليومَ يمشون في الصحراء حافينا

لا طـــارقٌ يـــطـــرق الأعلاجَ من كـــثبٍ
وإن دعـونـا فلا مـوسى يـلـبّـيـنـا
بـالـقـهـر قـد أخـذوا مِـسْـكـاً وغـالـيـةً
ومـنـهـمـا عَـوّضـونـا الـوحلَ والـطِّـيـنـا
وأدركـــوا ثـــأرَهـم في شنّ غـــارتـــهم
لمـا أتـونـا لـصـوصـاً مُـسـتـبـيـحـيـنـا
في الأرض عـاثـوا فـسـاداً بـعـد مـا شـربـوا
خـمـرَ الـحـوانيتِ وامـتـصّـوا المداخـيـنـا
فـــمـــا لـــنـــا قـــوّةٌ إلا بـــســـيّـــدنـــا
مـحـمـدٍ فـهـو يـرعـانـا ويـهـديـنـا
قـد اصـــطـــفى بـــين كلّ الـــنـــاسِ أمّـــتَه
كمـا غـدا المـصـطـفى بـين الـنـبـيّـيـنـا
يـا أحـمـدُ المـرتـضى والمـرتجى أبـداً
ألـستَ من سـطـوات الـرومِ تحـمـيـنـا؟
يـا أرفعَ الـنـاسِ عـنـد الـلـهِ مـنـزلـةً
متى نـرى الـسيفَ مسـلـولاً لـيشـفـيـنا؟

****

جعفر ماجد

ابن زيدون

ظـلّتْ عـصـافـيـرُهـا حـيْـرى تُـنـاديـنـا
والـعـطـرُ بـعـدكَ قـد ملَّ الـبـسـاتِـيـنـا
والـسُّـحبُ مـا كَـلّـلتْ بـالـسّـحـر مَـفـرقَـهـا
إلا لـتـكـتـبَ - إذ تَـهْـمي - مَـعَـانـيـنـا
والـنـهـرُ لـم يـجـرِ يـومـاً في مَـعَـاطِـفـهـا
إلا لـيَـسْـكُبَ في صَـمْتٍ أغَـانِـيـنـا
حـسـنـاؤكَ الـبـكـرُ مـا زالت مُـحـجَّـبَـةً
لم يَـجْـلُـهـا شـاعـرٌ بـعـدَ ابنِ زيـدُونـا
(أُوْلـيس) لـم يـأتِ يـا (بَـنـلُـوبَ) أنـدلسٍ
لا تـسـألُ الـريحَ إلا عن مـوانـيـنَـا
يـا حُـسنَ قـرطـبـةٍ في ثـوب بـهـجـتـهـا
مـثلَ الجـواهـرِ زانت بـنتَ عِـشـريـنـا

- ولد عام ١٩٤٠ بمدينة القيروان.
- يحمل الإجازة في اللغة العربية، ودكتوراه الدولة في الآداب والعلوم الإنسانية .
- أستاذ التعليم العالي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بتونس.
- مؤسس ومدير مجلة (رحاب المعرفة) الثقافية.
- من دواوينه الشعرية: (نجوم على الطريق) ١٩٦٨، (غداً تطلع الشمس) ١٩٧٤، (الأفكار) ١٩٨١ .
- نشرت هذه القصيدة بمجلة الكتاب، الصفحة ٥١٨ - ٥١٩، الصادرة عن اتحاد المؤلفين والكتّاب العراقيين، سنة ١٩٧٥، العددان ١١ و١٢، السنة ٩، تشرين الثاني وكانون الأول ١٩٧٥ بمناسبة انعقاد مهرجان ابن زيدون في الرباط في تشرين الأول عام ١٩٧٥.

مَـدّتْ يـديْـهـا إلى الـتـاريخ تحـضـنُه
فَـعـانَـقتْ كلَّ شـهْمٍ فـارسٍ فـيـنـا
أنْـفـاسُـهـا لم تـزلْ بـالمجـدِ دافـئـةً
وقـلـبُـهـا خـافـقـاً بـالحبّ مـشـحُـونَـا
قـد خـبَّـرتْـهَـا الـلـيـالي عن مـصـائِـبـنـا
وحَـدَّثـتـهـا طـويلاً عن مـآسـيـنَـا
فـأيـقـظتْ جـرْحَـهـا من بـعـد هَـجْـعـتهِ
وأرسـلتْ دمـعَـهـا في الـصَّـمت تـبـكـيـنـا

☆☆☆☆

أبـا الـولـيـدِ وهـذا الـيـومُ مـوعـدُنـا
قـد كـان مـنـذُ الـصِّـبـا حُـلـواً تلاقـيـنَـا
كم مـجـلسٍ في المـنى الـخـضـراءِ يَـعْـرفـنـا
ومن قـطـوفٍ هـصـرنـاهـا بـأيـديـنـا
نـأتي إلـيكَ مـتى شـئـنـا بـأجـنـحـةٍ
تـطـوي الـزمـانَ فـتُـنـسـيه وتـنـسـيـنـا
لـكـنـني حـاملٌ هـمّـاً أكـابـده
من ألف عـامٍ فـخـذْ أوزارَه حـيـنـا

☆☆☆☆

مـاذا جـنـيـنـا من الـتـاريخ نـظْـلِـمُهُ
ومن كـؤوس الـهـوى والـخـمـرِ تَـسْـقـيـنـا
أين المـيـادينُ هل فـيـهـا فـوارسُـنـا؟
بلِ المخَـادعُ هل فـيـهـا جَـواريـنـا؟
الـحـرف مـقـصـلـةٌ لا يـشـتـهي دمَـهـا
مَن لا يُـقـبّلُ في الحقّ الـسّـكـاكِـيـنـا
مـا هَـمّـنـا أن نُـريقَ الـيـومَ أدمـعَـنـا
لم يـبـقَ دمعٌ عـزيـزٌ في مـآقـيـنـا

لــــقـــد شـــربـــنـــا مَــرارات ٍ مُـــنــوّعـــةً
ولم تـــزل لكَ كـــأسٌ من دوالـــيـــنـــا
عـشـنـا عـلـى هـامش الـتـاريخ مـثْـلَـكُمُ
وبـعـد أنـدلس ٍ خُـنَّـا فـلـسـطِـيـنـا
يـا شـاعـرَ الحبّ لا تَـجْـرحْ مَـودّتَـنـا
إذا قـسـوتُ ولم أسـلكْ بكَ الـلّـيـنـا
إن المـودة أبـقى في مـعـاتـبـهـا
وقـد عَـرفتَ من الـعُـتْـبى أفـانـيـنـا
علَّـمْـتَـنـا أن نـرى في الأرض فِـتْـنَـتَـهـا
وزدتَ روْنـقَـهـا حُـسـنـاً وتَـلْـويـنـا
حـتى كـأنكَ رسّـامٌ بـريـشـتِـهِ
قد نَـمْـنمَ الـعشبَ واشـتقَّ الـريـاحـيـنـا
كـانت بلادُكَ مـثلَ الـفُـلكِ يـلـطـمُـهـا
مـوجُ الـهلاكِ ولا تـلـقى المـنَـجِّـيـنـا
وأنتَ في غـمْـرةِ الـلـذاتِ مـنـهـمكٌ
مـا كـان يـعـنـيكَ أمـرٌ كـان يـعـنـيـنـا
ولـلـطــوائف أقـزامٌ رأيـتَـهُمُ
لـكلِّ وصفٍ كـبـيـرٍ مُـسْـتـحـقّـيـنـا
مـدحتَ مُـعـتـضـداً مـنـهُمُ ومـعـتـمـداً
وعـشتَ مُـبـتـذَلاً فـيـهم ومِـسـكـيـنـا
ولاّدةٌ ضـيَّـعتْ بـالأمس أنـدلـسـاً
ولم تـزل حـيَّـةً مـوجـودةً فـيـنـا
ولاّدةٌ – يـا كـتـابَ الحُبّ مـعـذرةً –
تُـخـصي الـفُـحـولَ وتـغـتـالُ المحـبّـيـنـا

✡✡✡✡✡

يـــا واهبَ الـــشـــعـــر مـــعـــنًى من روائـــعهِ
كم كُـــنتَ تـــملأ بـــالـــوهمِ الـــدَّواويـــنـــا
لم تـــدرِ اَنَّ حـــروفَ الـــشـــعـــرِ غـــالـــيـــةٌ
لم تـــدرِ أنّكَ في صفّ الـــنـــبـــيّـــيـــنـــا
وكـنتَ في الـشـرق مـثلَ الـغـربِ مُـبـتـكِراً
إلـــهـــامُهُ عـــربـــاً يـــهـــدي ولاتـــيـــنـــا
وحُـــبُّكَ الـــشيءَ نـــوعٌ من حـــمـــايـــتهِ
فـــهل درأتَ عن الأرض الـــثـــعـــابـــيـــنـــا
يـــا لـــيـــتـــني الـــيـــومَ أنـــسى مـــا وهَـــبْـــتَـــهمُ
ولـــيت شِـــعـــرَكَ لم يـــنسَ المـــســـاكـــيـــنـــا

****

حافظ إبراهيم

لم يبق شيء

لم يـــبقَ شيءٌ من الـــدنـــيـــا بـــأيـــديـــنـــا
إلاّ بـــــقـــــيّـــــةَ دَمعٍ في مــــآقـــــيــــنــــا
كـــنّـــا قلادةَ جِـــيـــدِ الـــدهـــرِ فـــانـــفـــرطتْ
وفي يمـــينِ الـــعُلا كـــنـــا ريـــاحـــيـــنـــا
كـــانت مـــنـــازلـــنـــا في الـــعـــزّ شـــامـــخـــةً
لا تُـــشـــرق الـــشـــمسُ إلا في مَـــغـــانـــيـــنـــا
وكـــان أقـــصـى مـــنـى نـــهـــرِ المجـــرّةِ لـــو
من مـــائه مُـــزجتْ أقـــداحُ ســـاقـــيـــنـــا
والـــشـــهبُ لـــو أنـــهـــا كـــانت مـــســـخّـــرةً
لـــرجمِ من كـــان يـــبـــدو من أعـــاديـــنـــا
فـــلم نـــزل وصـــروفُ الـــدهـــرِ تـــرمـــقـــنـــا
شَـــزْراً وتـــخـــدعـــنـــا الـــدنـــيـــا وتـــلـــهـــيـــنـــا
حـــــتـــى غـــــدونــــا ولا جــــاهٌ ولا نـــــشبٌ
ولا صــــــديقٌ ولا خِلٌّ يُـــــواســــــيــــــنــــــا

****

- محمد حافظ بن إبراهيم فهمي المهندس.
- ولد في «قناطر ديروط» عام ١٨٧١، وتوفي عام ١٩٣٢.
- تخرج ضابطاً في المدرسة الحربية.
- عمل بعد تسريحه من الجيش في الصحافة ثم في دار الكتب.
- لقب بشاعر النيل.
- صدر له ديوان «حافظ إبراهيم» عام ١٩٠٣، وأعيدت طباعته عدة مرات.

أبو بكر ابن حبيش

ما للجفون تصمينا

ما للجفون بسهم الغنجِ تُصمينا
وعن قطاف جنى الأعطافِ تحمينا
وزاد والشوقُ يسبينا ويُصبينا
تَفرّقٌ عاثَ في شمل المحبّينا
أضحى التنائي بديلاً من تلاقينا
فالشوقُ روضتُنا والدمعُ ساقينا
ما للأحبّة مالوا عن سماحهمُ
بالروح جُدنا وضنّوا بالتماحهمُ
فنحن لما ذوى غصنُ ارتياحهمُ
نذوب شوقاً إلى مسرى رياحهم
من مبلغُ الملبسينا بانتزاحهمُ
حزنًا على الدهر لا يبلى ويُبلينا
إن الحنين إليهم كاد يُهلكنا
وإن يكن قبلُ مَشهوراً تَنسُّكنا
فاليومَ طاب لنا فيهم تهتُّكنا
هل عند ساداتنا والوجدُ يملكنا

– محمد بن الحسن بن يوسف.. بن يونس، أبو بكر ابن حبيش اللخمي: شاعر تونسي. برع في النظم والنثر.
– جمع له أبو العباس الأشعري «فهرسة» وعرضها عليه، فكتب له في أوّلها. أسهب ابن رشيد في الحديث عنه في رحلته. ولد سنة ٦١٥هـ وتوفي بعد عام ٦٧٩هـ عن سن عالية. انظر رحلة ابن رشيد ٨٣/٢ بتحقيق الدكتور محمد بن الخوجة، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٢، تونس.

أنّ الـزمــانَ الـذي مـا زال يُـضـحـكـنـا
أُنـسـاً بـقـربـهـمُ قـد عـاد يُـبـكـيـنـا
مـا لـلـحـسـانِ لأقـوال الـوشـاةِ رعَـوْا
وصـارمُـونـا ولـلـودّ الـقـديم نَـعَـوْا
رعـاهمُ الـلهُ كـانـوا لـلـعـهـود رعـوا
فـغـيَّـرتـهم وشـاةٌ بـالـفـسـاد سـعـوا
غِيظَ الـعدى من تـساقيـنـا الـهوى فدعوا
بـأنْ نـغصَّ فـقـال الـدهـرُ آمـيـنـا
وكم سـمـرنـا نـعـاطي تحت حـنـدسـنـا
في روضـة الـوصلِ كـأسـاً من تَـأنُّـسـنـا
وحـين تَمَّ سـروراً حـفلُ مـجـلـسـنـا
نـالـته عـينٌ أغـصَّـتْـنـا بـأكـؤسـنـا
فـانـحلَّ مـا كـان مـعـقـوداً بـأنـفـسـنـا
وانـبتَّ مـا كـان مـوصـولاً بـأيـديـنـا
كـنـا من الـقُـرب في نُـعـمى تَـأنُّـقـنـا
إذ فـرّقتْ أسـهمُ لـلـبـين تـرشـقـنـا
فـشطّ عن مـغـرب الأحـبـابِ مـشـرقُـنـا
وانـبتَّ من حـبل لُـقـيـانـا تـعـلُّـقـنـا
وقـد نـكـون ومـا يُـخـشى تَـفَـرُّقـنـا
فـالـيـومَ نـحن ومـا يُـرجى تلاقـيـنـا
شـوقُ الـنـفـوسِ دعـانـا أن نـهـاديَـكم
بـهـا فـإن تـقـبـلـوا نـشـكـرْ أيـاديَـكم
إن كـان رائـحُـنـا لم يـلقَ غـاديـكم
بـعـداً فـمـا تـبـرح الأرواحُ نـاديَـكم
يـا لـيت شـعـري ولم نُـعـتبْ أعـاديَـكم
هل نـال حـظّـاً من الـعُـتـبى أعـاديـنـا

أين الــذمــامُ عــقــدنــاه مــدى الأبــد

ثــغــراً بــثــغــرٍ ولم نــقــنع يــداً بــيــدِ

نــردّ فــيــكم عــذولَ الــنــصحِ والــرشــدِ

وتــقــبــلــون وشــاةَ الــزورِ والــفــنــد

مــا ظــنُّــنــا أن تُــقــرّوا عــينَ ذي حــســدٍ

بــنــا ولا أن تــســرّوا كــاشــحــاً فــيــنــا

يــا راحــلــين وقــلــبي حلّ أرحــلَــكم

هــبــوا الجــمــالَ عــلى الــعــشّــاق دَلّــلــكم

من ذا الــذي من دم الأحــبــابِ حَــلّــلــكم

إنــا وإن طــال تــفــريقٌ فــبَــدّلــكم

لم نــعــتــقــد بــعــدكم إلا الــوفــاءَ لــكم

رأيــاً ولــم نــتــقــلّــدْ غــيــرَه دِيــنــا

جــارَ الــفــراقُ ولــكن من يُــعــارضهُ

والــعــمــرُ حُكِّم فــيــنــا الــيــومَ نــاقــضُهُ

نــرجــو الــرضى وتجــنّــيــكم يــنــاقــضه

كــحــافظ الــنــفلِ قــد ضــاعت فــرائــضه

كــنّــا نــرى الــيــأسَ تُــســلــيــنــا عــوارضُه

وقــد يــئــســنــا فــمــا لــلــيــأس يُــغــريــنــا

أحــبــابَــنــا كــيف يــرجــو الــقــربَ نــازحُــنــا

والــهــجــرُ بــالــطــيف مــنكم لا يُــســامــحــنــا

ولا الــنــســيــمُ بــريّــاكم يُــنــافــحــنــا

هــذي تــبــاريــحُــنــا لــيــست تُــبــارحــنــا

بِــنــتم وبــنّــا فــمــا ابــتــلّتْ جــوانــحُــنــا

شــوقــاً إلــيــكم ولا جــفّتْ مــآقــيــنــا

لــلــوجــد بــاطــنُــنــا فــيــكم وظــاهــرنــا

مُــنــزّهٌ عن خــطــور الــغــيــرِ خــاطــرنــا

غـبــتم فـوالــلـهِ مــا قــرّت نــواظــرُنــا
بــعــد الــفــراقِ ولا سُــرَّت ســرائــرُنــا
نــكــاد حــين تُــنــاجــيــكم ضــمــائــرُنــا
يـقـضي عـلـيـنـا الأسى لـولا تَـأسّـيـنـا
حُـداؤكم بـالـقـلـوب الـهـائـمـاتِ حـدتْ
والـعـيسُ فـوق خـدودِ الـعـاشـقـين خَـدتْ
تشقى الـنفوسُ بـكم أضـعافَ مـا سعدتْ
مـعـاهـدُ الأنسِ عـادت عـكسَ مـا عـهـدت
حــالـت لـفـقـدكـمــو أيــامُـنــا فــغــدتْ
سُــوداً وكــانت بــكم بِــيــضــاً لــيــالــيــنــا
سَـقْـيًـا لـعـيشٍ مـضى في ظلّ مَـألـفـنـا
مـا كـان في مـوعـد الـلـقـيـا بمُـخـلـفـنـا
فـزنــا بمُــســعــدنــا مــنه ومُــســعــفــنــا
لم يـبكِ يـعـقـوبُ أشـواقـاً لـيـوسـفـنـا
إذ جــانبُ الــعــيش طــلقٌ من تــألُّــفــنــا
ومـوردُ الـلـهـوِ صـافٍ من تَـصـافـيـنـا
يـا حسنَ عصرِ الـصبـا لـو عـاد ثـانـيـةً
أيــامَ تُــســعــدنــا الآمــالُ هــانــيــةً
لم نــقــتــنصْ لــذّةً إلا علانــيــةً
إذ افــتــرعــنــا المـنى عـذراءَ عـانـيـةً
وإذ هــصــرنــا غـصــونَ الأنسِ دانــيــةً
قـطـوفُـهـا فـجـنـيـنـا مـنه مـا شِـيـنـا
هل تحـفـظـون لـنـا بـعـد الـنـوى ذِممـا
إن الـكـريم يـراعي الـعـهـدَ إن كـرمـا
وجـودُنـا مـذ نـأيـتم يـشـبه الـعـدمـا
نَـسيـمُـكم كـان يُـحـيي هـذه الـنَّـسَـما

لـيُـسْقَ عـهـدُكُم عـهـدُ الـسـرورِ فـمـا
كـنـتـم لأرواحـنـا إلا ريـاحـيـنـا
هل عـنـد حُسّادنـا - والحسنُ يـعذرنـا -
أن الخـضـوع لمن نـهـواه يـفـخـرنـا
يـا هـاجـرين ومـا يُـرجى تـصـبُّـرنـا
وكلُّ حـسـنٍ بمـرآكم يُـذكّـرنـا
لا تحـسـبـوا نـأيَـكم عـنـا يُـغـيّـرنـا
إذ طـال مـا غـيّـر الـنـأيُ المحـبّـيـنـا
لا تـعـرف الـنـفسُ إلا حـبَّـكم شـغلا
وحـسـبُـهـا فـيـكمُ ودٌّ صـفـا وحَلا
أن تـلـبسَ الـدمع حَـلْـيـاً والـضـنى حُلَلا
إن أَمَّـلـتْ غـيـرَكم لا بُـلِّـغتْ أملا
والـلـهِ مـا طـلـبتْ أهـواؤنـا بـدلا
مـنـكم ولا انـصـرفتْ عـنـكم أمـانـيـنـا
كم بتُّ لـيلاً حـكى هـمّي لـغـيـهـبهِ
أقـول والـنـجمُ لا يـدنـو لمـغـربه
لمـشـبه الـقـلب خـفـقـاً في تَـلـهُّـبه
يـخطّ في لا زورديٍّ بمُـذْهِـبه
يـا ساريَ الـبرقِ غـادِ الـقـصـرَ فـاسقِ بهِ
من كـان صـرفَ الـهـوى والـودّ يـسـقـيـنـا
يـا سـاهـرَ الـبـرقِ والأشـواقُ تُـسـهـرنـا
بـالـلـه طـالـعْ كِـنـاسـاً فـيـه جُـؤذرُنـا
وصِلْ مـعـاهـدَ نـهـواهـا وتـهـجـرنـا
وهـاتِ من تـربـهـا مِـسْـكـاً يـعـطّـرنـا
واسـألْ هـنـالكَ هل عـنّـى تـذكُّـرنـا
إلـفـاً تـذكُّـرُه أمـسى يُـعـنّـيـنـا

مـهـمـا تَـعـرَّض أُنـسـاً زاد وحـشـتَـنـا
لم يــبـسمِ الـروضُ إلا فضَّ عـبـرَتَـنـا
ولا شـدا الـطـيـرُ إلا هـاج لـوعـتَـنـا
يـا سـاجـعَ الـوُرْقِ صفْ للإلف غُـربـتَـنـا
ويـا نـسـيمَ الـصَّـبـا بَـلِّغْ تحـيّـتَـنـا
من لـو عـلى الـبـعـد حـيّـا كـان يُـحـيـيـنـا
أشـواقُـنـا بـعـدهم عـادت مـضـاعـفـةً
وبـارقـاتُ الحـمى تـأتي مُـخـاطـفـةً
فـكـيـف نـأمل عُـتـبى أو مـعـاطـفـةً
وقـد جـفـا عـنـدمـا زدنـا ملاطـفـةً
من لا يـرى الـودَّ يـقـضـيـنـا مُـسـاعـفـةً
فـيه وإن لم يـكن عـنـا يُـقـاضـيـنـا
أمّـا الـسـلـوُّ فـأنـسـاه وأنـسـاهُ
مـخـادعُ الـصبِّ إنْ رجّـاه أرجـاهُ
قـد عـاد فـيه تـنـاهي الـعـشقِ مَـبـداه
بـديعُ شـكلٍ مـجـالُ الخـلـدِ مـأواه
ربـيب حـسنٍ كـأنّ الـلـهَ أنـشـأه
مـسْـكـاً وقَـدَّرَإنـشـاءَ الـورى طِـيـنـا
أنـشـئـتي[1] من جـنـان الخـلـدِ أنـزله
مُـنـشـيه أبـدعَ مـحـبـوبٍ وأجـمـلَه
بـالـدرّ أضـحـكه بـالـورد أخـجـلَه
بـالـبـدر تَـوّجه بـالـسـحـر كـحّـله
أو صـاغه وَرِقـاً مـحـضـاً وكـلّـلهُ
من نـاصع الـتِّـبـرِ إبـداعـاً وتحـسـيـنـا
فـديتُ بـاهـرةَ الأنـوارِ بـاهـيـةً
بـالـعـشق آمـرةً لـلـصبّ نـاهـيـةً

(١) هكذا وردت.

في حِلية ما إذا تختال زاهيةً
غصنٌ ثنى الكفُّ عن مخباه زاهيةً
إذا تَأوّدَ أودته رفاهيةً
عند التثنّي وآذته البُرا لينا
من لي به والثريّا دون حلّته
حرامُه وصلُ ذي حِلٍّ لمقلته
أعيا على اللمح حتى عند غفلته
بحلّة النورِ يُكسى فوق حُلّته
كانت له الشمسُ ظِئراً في أكلّته
بل ما تَجلّى لها إلا أحايينا
أهلُ الملاحةِ طُرّاً تحت منّته
فالوُرْقُ تُفْحَم عن ترجيعِ رنّته
والبدرُ يخجل من إشراق سنَّته
والشمسُ قد صانعته خوفَ فتنته
كأنما انفتحتْ في صحن وجنته
زُهْرُ الكواكبِ تَعويذاً وتزيينا
كالبدر لكنْ أُحاشي النقصَ والكلفا
يزيد هجراً إذا زِدنا به كَلَفا
مهما ضرعنا له مُستعطفين جفا
وإن خطبنا رضاه رَدَّنا أَنَفا
ما ضرَّ إن لم نكن أكفاءه شرفا
ففي المودة كافٍ من تكافينا
لما حفظنا الهوى ضيّعتِ حافظَنا
وزهرُ تلك الحلى أفحمنَ لافظنا
حجبنَ عينَ سُلوٍّ أنْ تُلاحظَنا
حَيِّي بعرفكِ تُحيي منه فائظَنا

يــا روضـــةً طــالمــا أَجْــنـتْ لــواحــظَــنـــا
ورداً جــنــاه الــصِّــبــا غــضّــاً ونِــســريــنــا
يــا آســـةً ويــئــســـنـــا من تــنــشُّـــقــهـــا
ويــا حـــيــاةً وتُـــحـــيي روحَ شَــيِّـــقـــهـــا
ويـــا مـــهـــاةً وزادت عــذبَ مـــنــطـــقـــهـــا
ويـــا إيـــاةً وأظـــلـــمْـــنـــا بمـــشـــرقـــهـــا
ويـــا حـــيـــاةً تـــمـــلّـــيـــنـــا بـــرونـــقـــهـــا
مُـــنـىً ضُـــروبـــاً ولـــذّاتٍ أفـــانـــيـــنـــا
يـــا شـــادنًـــا قـــد غُـــررنـــا من غـــرارتهِ
ويـــا صـــبـــاحـــاً ضـــلـــلـــنـــا من إنـــارتهِ
ويـــا قـــضـــيـــبـــاً ذبُـــلـــنـــا من نـــضـــارتهِ
ويـــا شـــبـــابـــاً خـــلـــعـــنـــا حـــسنَ شـــارته
ويـــا نـــعـــيـــمـــاً خـــطـــرنـــا من غـــضـــارتهِ
في وشي نُــعمى سـحـبـنـا ذيـلَــهـا حـيـنـا
لم يـــرضَ مـــرآكِ لمـــا أنْ ســـمـــا ســـمـــةً
بـــالـــبـــدر وجـــهـــاً ولا شـــمس الـــضـــحـى أَمَـــةً
لمـــا ســـحـــبتِ بـــرودَ الـــحـــسنِ مُـــعـــلَـــمـــةً
كـــانت صـــفـــاتُكِ بـــالمـــوصـــوف مُـــعـــلِـــمـــةً
لـــســـنـــا نُـــســـمّـــيكِ إجلالاً وتـــكـــرمـــةً
وقـــدرُكِ المـــعـــتـــلـــي عن ذاكَ يُـــغـــنـــيـــنـــا
نـــهـــيم مـــنكِ بـــأســـمـــاءٍ مُـــشـــرَّفـــةٍ
أَجَـــلَّـــهـــا الـــصـــونُ أن تجـــري عـــلـى شـــفـــةٍ
تَـــســـتُّـــراً عن وشـــاةٍ غـــيـــرِ مُـــنـــصـــفـــةٍ
لـــكنْ غـــنـــيـــنـــا بـــأوصـــافٍ مُـــعـــرّفـــةٍ
إذا انـــفـــردتِ ومـــا شُـــوركتِ في صـــفـــةٍ
فـــحـــسبُـــنـــا الـــوصفُ إيـــضـــاحـــاً وتـــبـــيـــيـــنـــا

ومن هي الظبي حقاً عند خطرتِها
بمقلتيها وعِطفيها ونُضرتِها
يا شمسَ قصرٍ هدتْ نفسي بحيرتها
تصيح غُرَّتُها في ليل طُرّتِها
يا جنّةَ الخلدِ أُبدلنا بسِدرتها
والكوثرِ العذبِ زَقّوماً وغِسلينا
كم ليلةٍ باتتِ النعمى تُحادثُنا
تُراسل الطيرَ إن غنّتْ مثالثُنا
واليومَ جدّتْ نوىً كانت تُعابثنا
واستيقظتْ بعد إغفاءٍ حوادثنا
كأننا لم نبتْ والوصلُ ثالثنا
والسعدُ قد غضَّ من أجفان واشينا
إذ نحن في سلك تعنيقٍ ينظّمُنا
ولاختراعٍ من اللذّات ينعمنا
قدِ اتّحدنا فلا وهمٌ يُقسّمنا
غصنانِ ضُمَّ لذاوينا مُنعّمُنا
سِرّانِ في خاطر الظلماءِ يكتمنا
حتى يكادَ لسانُ الصبحِ يُفشينا
كالحِلم كان لعيني إثرَه انتبهتْ
عيشٌ كأنّ المنى إذ نولّتْه سهتْ
فلا تسلْ بعده عن أنفسٍ شُدِهتْ
وعن قلوبٍ بهول البينِ قد دَلِهت
لا غروَ في أنْ ذكرنا الحزنَ حين نهتْ
عنه النهى وتركنا الصبرَ ناسينا
لم يُنظَمِ الشملُ إلا ريثما انتثرا
يا صاحبي وأمرُّ البينِ قد أمِرا

لا تـعـجـبـا حـين زُمّتْ عِـيـسُـهم سَـحَـرا
لـلـصـبـر إن غـاب أو لـلـحـزن إنْ حـضـرا
إنـا قـرأنـا الأسى يـومَ الـنـوى سُـوَرا
مـكـتـوبـةً وأخـذنـا الـصـبـرَ تـلـقـيـنـا
نـهى جـمـالُكِ عن قـلـبي بمَـحْـمـلـهِ
فـالجـسمُ يـنـحلّ عن قـلـبي بمُـنْـحِـلـه
أحـالـه الـسـقمُ إلاّ عن تـغـزُّلهِ
والـعـهـدُ ألـزمُ من كـفّي لـمُـنْـصـلـه
أمّـا هـواكِ فـلـم نـعـدِلْ بمـنـهـلـهِ
شُـرْبـاً وإن كـان يَـروينـا فـيُـظـمـيـنـا
يـا ظـبـيـةَ الـبـانِ جـاد الـبـانَ صَـيِّـبُهُ
بـانَ الـهـوى فـيكِ ممّن كـان يـحـجـبُهُ
لـم نجفُ أفقَ جـمـالٍ أنتِ كـوكـبُه
سـالـينَ عـنه ولـم نـهـجـرْه قـالـيـنـا
غـريبُ حـسـنكِ يـأبى أُنسَ مـغـتـربِ
نـسـيتِ مـا كـان عن قُـرْبٍ وعن قَـرَبِ
وودّنـا جَـلَّ عـن رَيْـبٍ وعـن رِيَـبِ
لـم نـؤثـرِ الـبـعـدَ في جِـدٍّ ولا لـعبِ
ولا اخـتـيـاراً تجـنّـبـنـاكِ عن كـثبِ
لـكنْ عـدتْـنـا عـلـى كُـرهٍ عـواديـنـا
أبـقى لـنـا الـبـينُ أحـشـاءً مـروعَّـةً
من الـبـعـاد وأشـجـانـاً مـنـوَّعـةً
فـالمـطـربـاتُ تـثـيـر الـشـجـوَ مـسـرعةً
مـذ غـبتِ لم نـسـتـطبْ كـأسـاً ومَـسـمـعةً
نـأسى عـلـيكِ إذا حُـثَّتْ مُـشـعـشِـعـةً
فـيـنـا الـشّـمـولُ وغـنّـانـا مُـغـنّـيـنـا

فـمـا أجـلـنـا لِـحـاظـاً في خـمـائـلـنـا
إلا وبلّ الـبُـكـا مَـثـنـى حـمـائـلِـنـا
ولا أجـــادَ صـــفـــيـــرٌ من بلابـــلـــنـــا
إلا أجـــابَ زفـــيـــرٌ من بلابـــلـــنـــا
لا أكـؤسُ الـراحِ تُـبـدي من شـمـائـلـنـا
سِـيـمـا ارتـيـاحٍ ولا الأوتـارُ تُـلـهـيـنـا
يـا من غـدتْ لـلـدجى في الحـزن غـائـظـةً
بـالـسـحـر نـاسـمـةً بـالـسـحـر لاحـظـةً
بـــالـــدرِّ بـــاســـمـــةً طـــوراً ولافـــظـــةً
لا تـتـركي مُـهـجـتي بـالـوجـد لافـظـةً
دُومـي عـلـى الـعـهـد مـا دمـنـا مـحـافـظـةً
فـالمـرءُ من دان إنـصـافـاً كـمـا دِيـنـا
نـــحن الأكـــارمُ مـــأمـــونٌ تـــقـــلُّـــبُـــنـــا
لا لـــلـــملالـــة يـــدعـــونـــا تَـــقـــرُّبُـــنـــا
ولا يـــسفُّ لـــســـلـــوانٍ تَـــغـــرُّبـــنـــا
مـحضُ الـوفـاءِ عـلـى الـعِلاّت مـذهـبـنـا
فـمـا اسـتـعـضـنـا خـلـيـلاً منكِ يُحْسِبنا
ولا اسـتـفـدنـا حـبـيـبـاً مـنكِ يُسْـلـيـنـا
هلاّ رحـــمتِ مَـــشـــوقـــاً في تَـــصـــرُّعهِ
يـا من لـهـا مـنـظـرٌ سـبـحـانَ مُـبـدعهِ
كم اســـتـــحـــالَ تـــقـــيّـــاً عن تـــورّعهِ
إلـيكِ مـال الـهـوى عـنـا بـأجـمـعه
ولـو صـبـا نـحـونـا من عـلـو مـطـلـعهِ
بـدرُ الـدجى لم يـكن حـاشـاكِ يُصـبـيـنـا
مـا ضـرَّ يـا مَنْ علا قَـدْراً ومـنـزلـةً
لـو كـنتِ من عِـلَل الـمُـضـنـى مُـعَـلِّـلـةً

أو لـلـمـحـاسن بـالحـسـنى مـكـمّـلـةً
أو بـالخـيـال ويـأبي الـسـهـدُ مُـرسـلـةً
أُبـــدي وفـــاءً وإن لم تـــبـــذلي صـــلـــةً
فـالـطـيفُ يُـقـنـعـنـا والـذكـرُ يـكـفـيـنـا

رحـمـاكِ في مـسـتـطـار الـقـلبِ مُـلـهـبِهِ
مُـسـتـعـذبٍ مـا يُـقـاسي من تَـعـذُّبهِ
تُـبـدي صـحـيـفـتُه عن خفّ مـطـلـبهِ
قـد خـطَّـهـا والـبُـكـا يمـحـو بـصـيِّبهِ
وفي الجـواب مَـتـاعٌ لـو شـفـعتِ بهِ
بـيضَ الأيـادي الـتي مـا زلتِ تُـولـيـنـا

يـا دُرّةً لحُـلـى مَـلْكٍ قـد انـتُـقـيتْ
أنتِ الـنـعـيمُ لـنـفسٍ بـالـهـوى شَـقـيتْ
دُومي لأرواحـنـا ريـحـانـةً سُـقـيتْ
تـنـسى بـرؤيـاكِ مـا من وجـدهـا لـقـيتْ
عـلـيكِ مـنّي سلامُ الـلـهِ مـا بـقـيتْ
صـبـابـةٌ مـنكِ نُـخـفـيـهـا فـتُـخـفـيـنـا

****

حسن حسني الطويراني

ما لليالي

مـا لـلـيـالي وقـد كـانت تُـوالـيـنـا
إذ كـنتُ بـالأنس مـحـبـوبـاً تَـوالـيـنـا
لما اغـتـررنـا بـهـا واغـتـالَ غـاويـنـا
أضـحى الـتـنـائي بـديلاً عـز تـدانـيـنـا
وحـان من بـعـد لُـقـيـانـا تجـافـيـنـا
وكـيف سـاغ لـدمع الـعـينِ يـقـرحُـنـا
وكـان دهـرًا بـطـيب الـوصلِ يُـفـرحـنـا
والـلـهِ يـا من بـهم تُـشْـفَى جـوارحُـنـا
بـنـتم وبِـنّـا فـمـا ابـتـلّتْ جـوانـحُـنـا
شـوقـاً إلـيـكم ولا جـفّتْ أمـاقـيـنـا
ولـم نـزل بـعـدكم في لـوعـةٍ وعـنى
نـسـتـرجع الـدهـرَ لـكنْ لا يُـعـادلـنـا
فـلـم نـبتْ لـيـلـةً إلا مـضتْ حَـزَنـا
نـكـاد حـين تـنـاجـيـكم ضـمـائـرُنـا
يـقـضي عـلـيـنـا الأسى لـولا تـأسّـيـنـا

– حسن حسني باشا بن حسين عارف الطويراني.
– شاعر تركي الأصل قاهري الدار والمنشأ.
– ولد بالقاهرة سنة ١٢٦٧هـ وتوفي بالقسطنطينية سنة ١٣١٥هـ.
– أجاد اللغتين العربية والتركية وله فيهما مؤلفات.
– من مؤلفاته ديوان شعر في مجلدين، عنوانه «من ثمرات الحياة» ومنه أخذنا هذه القصيدة التي خمّسها بأبيات من نونية ابن زيدون.

نُـدافع الـيـأسَ والآمـالُ قـد بـعـدتْ
وتـرقب الـنـجمَ عـيـنـانـا لمـا وجـدتْ
والـقـلبُ يـأسف لـلـدنـيـا عـلى مَ غـدتْ
حـالت لـبُـعـدكمُ أيـامُـنـا فـغـدت
سُـوداً وكـانت بـكم بـيـضًـا لـيـالـيـنـا
وكـان لـلـدهـر اقـبـالُ لـنـا وبـنـا
وكـان لـلـعـمـر أُنسٌ بـيـنـنـا وهَـنى
وكـنتَ أنتَ حـبـيـبـاً لـلـوفـا ضَـمِـنـا
إذ جـانبُ الـعـيشِ طـلقٌ من تـألُّـقـنـا
ومـوردُ الـلـهـوِ صـافٍ من تـصـافـيـنـا
هل تـذكـرون لـنـا في الـدهـر خـالـيـةً
أو لـيـلـةً قـد مـضت بـالأنس حـالـيـةً
إذ نـسـتـقي الـراحَ أختَ الـروحِ صـافـيـةً
وإذ هـصـرنـا غـصـونَ الـبـانِ دانـيـةً
قـطـوفُـهـا فـجـنـيـنـا مـنه مـا شـيـنـا
وإذ تُـبـيح لـنـا خَـدّاً ومُـبـتـسـمـا
وإذ تحلّ لـنـا بـالـقـرب مـا حـرمـا
وإذ نـرى الـدهـرَ في أعـتـابـنـا خـدمـا
لـيُـسْقَ عـهـدُكمُ عـهـدُ الـسـرورِ فـمـا
كـنـتم لأرواحـنـا إلا ريـاحـيـنـا
أقـول لـلـقـلب قـد أولـوا الـنـواح هُمُ
لـنـبكِ دهـرًا تـولّى بـامـتـنـاحـهمُ
فـيـا لـوديّ ويـا صـرعى جـراحـهمُ
من مُـبـلغُ المـلـبـسـيـنـا بـانـتـزاحـهمُ
حُـزنـاً مع الـدهـر لا يَـبـلى ويُـبـلـيـنـا
ويـا حـبـيـبـاً بـحـكم الـقـلبِ يمـلـكـنـا
وتـائـهًـا في مـهـاوي الـوجـدِ يـسـلـكـنـا

ولم يـزل هـجـرُه يـبـدو فـيُـنـهـكـنـا
إن الـزمـانَ الـذي قـد كـان يُـضـحـكـنـا
أُنْـسـاً بـقـربـكـمـو قـد عـاد يُـبـكـيـنـا
فـكـيـف أنـدب عـهـدًا لـيس يُـرتجَعُ
وقـد تـفـرّقَ شـمـلٌ لـيس يـجـتـمعُ
كـأنـنـا بـعـدُ مـا بِـنّـا ولا بـدعُ
غِيظَ الـعِدا إذ تساقـيـنـا الـهـوى فدعوا
بـأن نـغصَّ فـقـال الـدهـرُ آمـيـنـا
فـطـال هـذا الجـفـا من بـعـد مَـأنـسـنـا
وصـار يـخـتـار ذو عنٍّ مـجـالـسـنـا
وأوحشَ الـدهـرُ داراً من مُـؤانـسـنـا
فـانـحلَّ مـا كـان مـعـقـودًا بـأنـفـسـنـا
وانـبتّ مـا كـان مـوصـولاً بـأيـديـنـا
لـئن يـطلْ بُـعـدُنـا أولا تُـريح مُـنى
فـنـحن نـصـبـر صـبـرَ الحُـرِّ مـا غُـبِـنـا
وقـد يُـقـال قـصـيٌّ بـالـفـراق دنـا
وقـد نـكـون ولا يُـخـشى تـفـرُّقُـنـا
فـالـيـومَ نـحن ولا يُـرجى تلاقـيـنـا
بـالـلـه ذكـرى فـإنـا لن نـفـاصـلَـكم
إلا عـلـى رغم نـفسٍ تـلك تـأمـلـكم
ونـحـن نـحن وإن لم نـبـد سـائـلـكم
لم نـعـتـقـد بـعـدَكم الا الـوفـاءَ لـكم
رأيًـا ولم نـتـقـلّـدْ غـيـرَه دِيـنـا
وهَبْ صـفـا الـغـربُ إذ بِـنّـا يُـكـدّرنـا
فـلـيس يـهـزم لـلـبـلـوى تَـصـبُّـرنـا

نـحن الـذين الـهـوى حـتـمـاً يُـسـيّـرنـا
لا تحـسـبـوا نـأيَـكم عـنـا يُـغـيّـرنـا
إن طـال مـا غـيَّـر الـنـأيُ المحـبّـيـنـا
ولـيس طـولُ الـتـنـائي يـقـتـضي سُبُلا
إلى الـسـلـوّ وحـاشـى أنْ يُـقـالَ سلا
لا عـاش صبٌّ لـنـقـد الـروحِ مـا بـذلا
والـلـهِ مـا طـلـبتْ أرواحُـنـا بـدلا
مـنـكم ولا انـصـرفتْ عـنـكم أمـانـيـنـا
ولا وجـدنـا رحـيـمـاً قـد يـعـلّـلـنـا
ولا صـديـقـاً له يُـشـكى تُـحـمُّـلـنـا
ولا أفـاد ولا أجـدى تَـجـمُّـلـنـا
ولا اسـتـفـدنـا خـلـيلاً عـنكِ يشـغـلـنـا
ولا اتّـخـذنـا بـديلاً مـنكِ يُـسـلـيـنـا
فـاعـجبْ لـدهـرٍ تَـغـالى في تـغـلُّـبهِ
والـقـلـبُ لا يُـتَّـقى غـادي تَـقـلُّـبهِ
وكم أقـول ودمـعي في تـصـبُّـبهِ
يـا ساريَ الـبرق غـادِ الـقـصرَ فاسقِ بهِ
من كـان صرفَ الـهـوى والـودّ يـسـقـيـنـا
ويـا زمـانَ الـلـقـا أرجعْ أحـبَّـتـنـا
لـعل ذلك يُـنـسـيـنـا تَـشـتُّـتَـنـا
ويـا رسـولَ المـنى أبـلغْ زيـارتَـنـا
ويـا نـسـيمَ الـصَّـبـا بَـلِّغْ تحـيَّـتـنـا
من لـو عـلى الـبـعد حـيّا كان يُحـيـيـنا
فـكم لـنـا كـان من وصلٍ بـكلّ هَـنـا
عـصـراً أرتـنـا الـلـيـالي كـلَّه حَـسَـنـا
فـلـيت شـعـريَ هل عَـوْدٌ فـيـجـمـعَـنـا
يـا روضـةً طـالمـا أجـنتْ لـواحـظُـنـا
ورداً جـنـاه الـصِّـبـا غـضّـاً ونِـسـريـنـا

فـيـا بُـدوراً وقـد كـنّـا كـهـالـتَـهـا
ويـا شـمـوسـاً تَـمـنَّـعـنـا بـدارتـهـا
ويـا مـنـى الـعـينِ كم فـزنـا بـقـرّتـهـا
ويـا حـيـاةً تـمـلّـيـنـا بـزهـرتـهـا
مُـنًى ضُـروبًـا ولـذّاتٍ أفـانـيـنـا
ويـا حـبـيـبـاً قـضـيـنـا من بـشـاشـتهِ
وبِـشـره مـا ارتجى صبٌّ لـغـايـتهِ
ويـا نـديـمـاً أدمـنـا من مُـدامـتهِ
ويـا نـعـيـمًـا هـصـرنـا من غـضـارته
في وشي نُـعمى سحـبـنـا ذيلَه حـيـنـا
اذكـرْ لـيـالٍ مـضتْ فـيـنـا مـوالـيـةً
إذ أعـينُ الـدهـرِ كـانت ثَمَّ غـافـيـةً
واصـرفْ لـنـا لحـظـةً بـالـودّ راضـيـةً
لـسـنـا نـسـمـيّكَ إجلالاً وتـكـرمـةً
وقَـدْرُكِ المـعـتـلـي عن ذاك يُـغـنـيـنـا
ويـا ودوداً ثـوى قـلـبي ومن ثـقـتي
بـعـهـده لم أذق من هـجـره سِـنَـتي
يُـغـنـيكَ وصـفُكَ عن ذكـري وتـسـمـيـتي
إذ انـفـردتَ ومـا شُـوركتَ في صـفـةٍ
فحـسبُنـا الـوصفُ إيـضـاحـاً وتـبـيـيـنـا
نـقـول لـيـلى وأسـمـا أو ذكـا ومـهـا
أو غـصنُ بـانٍ وبـدرٌ بـهـجـةً وبَـهـا
وحـيث نـذكـركم نـبـكي لـكم ولـهـا
يـا جـنّـةَ الخـلـدِ أُبـدلـنـا بـسـلـسـلـهـا
والـكـوثـرِ الـعـذبِ زَقّـومـاً وغِـسـلـيـنـا
الـلـهُ أرحـمُ مـا لـلـدهـر يُـورثـنـا
من بـعـد ذاك الـتـلاقي حـسـرةً وعَـنـا

بِـتـنـا ويـا طـالمـا بِـتـنـا بـكل هَـنـا

كـأنــنـا لم نــبت والــوصلُ ثــالــثــنــا

والـدهـرُ قـد غضَّ من أجـفـان واشـيـنـا

كم لـيـلــةٍ سـالمـتـنـا وهي مـغـنـمُـنـا

ولــيس لــلــبــين من ســوءٍ يــلمّ بــنــا

كــأنـــنـــا وحـــبـــورٌ ثَمَّ يـــقـــدمـــنـــا

سِرّان في خـاطـر الـظـلـمـاءِ يـكـتـمـنـا

حـتى يـكـادَ لـسـانُ الـصـبـحِ يُـفـشـيـنـا

فـيـا لـودي دعـوا صـبّـاً قـد اشـتـبـهتْ

فـيه الـظـنـونُ وفـيـه مُـهـجـةٌ ولـهتْ

فـنــحن قــومٌ إذا نــوبُ الــزمــانِ دهتْ

لا غـروَ في أن ذكـرنـا الـحـزنَ حـين نـهتْ

عـنه الـنـهى وتـركـنـا الـصـبـرَ نـاسـيـنـا

نــهـــيم ذكـــراً وإن لـم يـــدرِ من ذُكِـــرا

وكم نُـــراعُ إذا طــيفُ الـــلـــقـــاءِ طَـرا

لا تـعـذلـوا مـعشـرَ الـعشّـاقِ والـشُّعَـرا

إنــا قــرأنــا الأسى يــومَ الــنـوى سُـوَرا

مـكـتـوبـةً وأخـذنـا الـصـبـرَ تـلـقـيـنـا

فــيــا نــئــيّــاً وويــلي من تَــحــوّلهِ

وكـنـتُ أهـوى الــتـصــابي في تَـدلُّــلهِ

يـهـون عـنـدي الـورى حـقّـاً بـأجـمـلهِ

أمّـــا هـــواكَ فلا نـــعـــدلْ بمـــنـــهـــله

شُـرْبًـا وإن كـان يَـرويـنـا فـيُـظـمـيـنـا

ألـــيس أمـــرُ زمـــاني فـــيكَ أعـــجـــبُه

إنْ نــئــاً عـمّن بــنــقــد الــروحِ نــرغـبه

الـــلهُ يـــعـــلـم يـــا من عـــزَّ مـــطـــلـــبُه

لم نجفُ أفقَ جـــمـــالٍ أنتَ كـــوكـــبُه

ســالــينَ عـنه ولم نــهـجـره قــالــيـنـا

أشكو إليك بشكوى نفسٍ مغتربٍ

يـبـيت من لـوعـة الأحـشـاء في لـهبِ

مـا عن رضىً حـدتُ عن أربٍ وعن طـلبِ

ولا اخـتـيـارًا تجـنَّـبـنـاك من كَـثَب

لـكنْ عـدتْـنـا عـلى كـرهٍ أعـاديـنـا

لـنـا قـلـوبٌ نـراهـا فـيك مُـصـدَعـةً

وأعـينٌ قـد جـرتْ لـلـبـين مُـهـمَـعـةً

حـتـى إذا وجـدتْ أرواحُـنـا دعـةً

تـأسى عـلـيك إذا طـافت مُـشـعـشِـعـةً

فـيـنـا الـشَّـمـولُ وغـنّـانـا مُـغـنّـيـنـا

نـرى الـلـيـالي وإن تُـبـدي وسـائـلَـهـا

سِـيـمـا سـرورٍ وتُـهـديـنـا رسـائـلَـهـا

والحـالُ مـا نـبـتـغي فـيـمـا نـحـاولـهـا

لا أكـؤسُ الـراحِ تُـبـديـنـا شـمـائـلـهـا

سِـيـمـا ارتـيـاحٍ ولا الأوتـارُ تُـلـهـبـنـا

يـا ربّـةَ الخـالِ لا زالت مـسـالمـةً

لكِ الـلـيـالي وفي الأعـتـاب خـادمـةً

جـار الـهـوى فـاعـطـفي لـلـعَـوْد ثـانـيـةً

دُومي عـلى الـعـهـد مـا دمـنـا مـحـافـظـةً

فـالحـرُّ من دان إنـصـافـاً كـمن دِيـنـا

فـمـا تَـجـلّتْ كـمـا تـدرين أكـؤسُـنـا

ولا صـفـا عـيشُـنـا واعـتـزَّ مـجـلـسـنـا

ولا استفاد بنا في الناس مُؤنسنا
ولا ابتغينا حبيبًا عنكِ يحبسنا
ولا استفدنا خليلاً عنكِ يُغنينا
ولا لهونا بنادٍ في تَجمُّعه
ولا صبونا إلى صافي مُشعشعهِ
فلو بدا الغصنُ مهتزاً بأينعهِ
ولو صبا نحونا من علو مطلعهِ
بدرُ الدجا لم يكن حاشاكِ يُصبينا
فيا ممنّعةً بالرغم فاصلةً
ويا التي هي في قلبي مُواصلةً
ويا مُروّعةً بالصبر فاعلةً
أولي وفاءً وإن لم تبذلي صلةً
فالذكرُ يُقنعنا والطيفُ يكفينا
رفقًا به فكفاه من تَعذّبهِ
آلامُ غربته أو بعدُ مطلبهِ
أو فاذكريه على مافي تصبّبهِ
وفي الجواب قناعٌ لوشفعتِ به
بيضَ الأيادي التي ما زلتِ تُولينا
أستودع اللهَ يا من فيه قد شقيتْ
أفكارُنا وعليه أدمعٌ فنيتْ
رفقاً على مهجتي بالبين ما لقيتْ
عليكِ مني سلامُ اللهِ ما بقيتْ
صبابةٌ منكِ نُخفيها فتَخفينا

****

حسين سراج باشا

نمسي ونصبح

نُمسي ونُصبح والأوتارُ صادحةٌ
ونحن في نشوةٍ حلّتْ مَجالينا
وللقيانِ غناءٌ هزَّ سامرَنا
وللندامى حُميّا من تَصافينا
والسامرون بذكرانا شَدَوْا طرباً
والعاشقون تمنّوا من أمانينا
وللنسائم أنفاسٌ معطّرةٌ
من نفحكِ الطيبُ كافوراً ونِسرينا
والماءُ ينساب والأشجارُ راقصةٌ
والطيرُ تسجع والدنيا تُهنّينا
يا ربّةَ المجدِ أين العهدُ هل عبثتْ
به الأعادي وهل أُنسيتِ ماضينا؟
إن صحَّ يا قلبُ ما قد قيل فابكِ على
أيّامِكِ البيضِ وايأسْ من تلاقينا

– حسين بن عبدالله سراج.

– أديب، ولد بالطائف عام ١٩١٢ وتعلم بمكة ثم بعمان في شرقي الأردن، فالجامعة الأمريكية ببيروت.

– تولى وكالة الخارجية الأردنية ورئاسة الديوان الملكي ثمّ السفارة للأردن بمصر.

– سافر إلى الحجاز فكان مديراً عاماً لرابطة العالم الإسلامي بمكة إلى أن توفّي.

– له نظم وقصص، منها «جميل بثينة» و«غرام ولادة» مسرحية شعرية أخذت منها هذه القصيدة، الصفحة ٤٦ – ٤٧، ينظر: الأعلام ٢/٢٤٣.

أمستْ ليالي الهنا حُلماً تُناجينا
وأصبحتْ ذكرياتُ الحبّ تُشقينا
كنّا خليلين في دنيا الغرامِ وقد
أضفتْ علينا من النُّعمى أفانينا
نُسقى حميّا الهوى في الكأس مترعةً
ممزوجةً بحنانٍ كان يُحيينا
وللصِّبا في قشيب البُرْد روعتُه
وللعيون نداءٌ كاد يُغرينا
ورقّةٍ في دلالٍ زانة خَفَرٌ
وعفّةٍ تَوّجتْ فخراً ليالينا

****

حنا الأسعد

سافرت عن مرتع الآرام

سـافـرتُ عن مــرتع الآرامِ هــائــمــةً
والــقـلـبُ غـادرتُه عـنـد المحـبّـيـنـا
وبتُّ أطــوي مــفــازاتٍ ولي كــبــدٌ
حـرّى بـنـار الـقِلا والـهـجـرِ تـقـلـيـنـا
أجـدّ سـيـراً وعـينُ الـعـقل شـاخـصـةٌ
نـحـو الـربـوعِ وكم سـحّتْ أمـاقـيـنـا
أغـالط الـطـرفَ تـنـزيـهًـا ولا بـدلٌ
عن نـزهـةٍ تـدهش الأبـصـارَ يـغـنـيـنـا
مـا لي سـلـوٌّ وهل أسـلـو الـتي مـلـكتْ
قـلـبي وفي بـعـدهـا الـسلـوانُ يُسـلـيـنا
يـا نـزهـةَ الـطـرفِ يـا سـرَّ الـقـلـوبِ ومن
فـاقت أزاهـرُهـا ريـحـاً ريـاحـيـنـا
إني وإن نـاء جـسـمـاني فـعـقـليَ في
تـرداد ألـطـافكِ الحُـسـنى يُـسـلّـيـنـا

– حنا بن أسعد بن جرجس أبي صعب اللبناني، المعروف بحنّا بك الأسعد.
– متأدب، له نظم، من مشايخ الموارنة في نواحي البترون.
– تعلم العربية والسريانية، وسافر مع الأمير بشير الشهابي سنة ١٨٤٠ إلى مالطة وإسطنبول فقرأ بعض العلوم الإسلامية وعاد إلى لبنان ١٨٥٠ فأنشأ في بيت الدين مطبعة حجرية.
– ولد سنة ١٨٢٠ وتوفي ١٨٩٧م.
– له ديوان شعر مطبوع بالعربية وبالتركية. انظر: الأعلام ٢/٢٨٥.

عطفاً ولا تبخلي فيما يُبشّرنا
عن راحة الروحِ يهدي القلبَ تأمينا
وأسأل اللهَ جمعاً للشمول كما
قد بات قلبي حزيناً من تنائينا
فُوتينُ فاتنتي أنّى تَفوتينا
هل حلّ فوتي بأيّ الشرعِ تفتينا
مع يُمن يُمنى لقد سارتْ ركائبكم
والروحُ تنساب عن يُمنى موالينا
غادرتِ جسميَ لا روحٌ تُروّحه
والقلبُ سؤليَ سارٍ حيث تَسرينا
سافرتِ من غير توديعٍ يذكّرنا
حسنَ الودادِ وألطاف المحبّينا
وقد أتينا لنادي اللطفِ في شغفٍ
كيما نفوزَ بتوديعٍ يُسلّينا
ولم نجد في الحمى عيناً ولا أثراً
عدنا حيارى وقد خابت مساعينا
هل سار شخصٌ بفابورين في زمنٍ
معاً وكلٌّ يقول الشخصُ ثاوينا
تنازعَ القلبُ والفابور فيه وقد
توافقا عن رضاه في تنائينا
تضارعا باللظى والسير عن كظمٍ
تغايرا رونقاً شكلاً وتفنينا

فــذا أســيــرُ هــواءٍ بــالمــســيــر وذا
مُـلـقىً بـأسـرِ هـوىً يـلـقى الـسُّرى دِيـنـا
لـــكنْ لـــذاك دوالـــيبٌ تُـــقـــلّـــبه
والـــقــلـبُ دولابُه ألـــطــافُ فــوتـــيــنـــا
قـد أظـلـمَ الـقـطـرُ مـذ غـابت زواهـرُكم
والأنسُ قـــد زال طُـــرّاً من أراضـــيـــنـــا
لمــا نـــحـــوتم إلى مِـــيـــنــا طـــرابـــلسٍ
قد صـاح دمعي: سُقيتَ الغيثَ يـا ميـنـا
وحـــين غـــبــتم وقـــد حـــان الـــفـــراقُ لـــنـــا
حنَّ الجـــمـــادُ وقـــد نـــاحت نـــواحـــيـــنـــا
ومـــا الملاهي إلى قـــلــــبي بلاهـــيـــةٍ
ولــو أتــاني لُــهـى الــدنــيــا ملايــيــنــا
أمـسـيتُ في وحـشـتي كـالـوُرْق نـائـحـةً
والـدمعُ يــهـمي عــبــابــاً من أمــاقــيــنــا
قـد قلَّ صـبـري وصـبـرُ الـهـجـرِ حلَّ فمي
وفي الــتــنــائي مـذاقُ المـوتِ يـسـقـيـنـا
مـذ بـنـتِ يـا مـنـيـتي مـنّي المنى شـسـعتْ
واعــتــضتُ نــيلَ المــنــايــا عن أمــانــيــنــا
من لي بــريح الــصَّـبــا كــيــمــا أُكـلّــفـهــا
في عــرف خـــدٍّ حـــوى ورداً ونـــســـريـــنـــا
قـــد راحتِ الـــراحُ والأرواحُ حـــين نـــأتْ
من أخـجـلتْ راحُـهـا ريـحـاً ريـاحـيـنـا

يــا ســائـلي عن ســلــوٍّ سلْ به كَـلِـفـاً

فـكيف نـسلـو ونـارُ الـهجِر تُـسلـيـنـا

عِـدي بــعَــوْدٍ وأحــيي عُــودَ يــابــسـةٍ

لأن بــعـدَ الــبــعــادِ الـعَـوْدُ يُـحـيـيـنـا

رجــاءُ هــائــمــةٍ يــتــلــو نِـدا لَـــهِفٍ

فُــوتــينُ فــاتــنــتي أنّى تــفــوتــيــنــا

****

خلفان بن مصبح

للحب دين

لـــلـــحبّ دينٌ ولـلأشـــواق بـــاقـــيـــنـــا
ولـلـصـبـابـة مـا أبـقى الـصِّـبـا فـيـنـا
وجــيــرةُ الــقـلـبِ إن جــاروا وإن عـدلـوا
نــحـن الأحــبّــةُ لا نــألــو مُــحــبّــيــنــا
وإن نـسـوا عـهـدَنـا من بـعـد فـرقـتـنـا
وضــيّــعـوه فــإنــا غــيــرُ نــاســيــنــا
إنــا لــقــومٍ إذا مــا الحبُّ خــامــرَنــا
لــلـحب نُـوفي وإن لم نـلـقَ مُـوفـيـنـا

☼☼☼☼☼

يـا من بـقـلـبيَ قـد صـيَّـرتـهم سـكـنـاً
ومن جـعـلـت لـهم دينَ الــهـوى ديـنـا
ومن ســرى حــبُّـــهم في كلّ جــارحــةٍ
مــنـــا وأصـبحَ من أغــلـى أمــانــيــنــا
شبَّ الحـنـينُ إلـيـكم في جـوانـحـنـا
نــاراً وأغــرقتِ الــذكــرى مــآقــيــنــا

– خلفان بن مصبّح بن خلفان، الشويهي أباً، الشامسي أماً، من الشارقة.

– ولد – على وجه التقريب – سنة ١٩٢٣م في منطقة الحيرة من إمارة الشارقة.

– أصيب وهو في سن الثامنة عشرة من عمره بجرح بالغ في الرأس والعمود الفقري مما حدا بخاله إلى أخذه إلى الهند للعلاج. وكانت مدة المرض طويلة دامت زهاء عشرين شهراً وفي أثنائها كان ينظم قصائد للمرض والغربة نصيب فيها وبعد ذلك قطع إقامته وعاد إلى بلده.

إذا سجى الليلُ هزّتنا مضاجعُنا
شوقاً إليكم وأشجتنا دواعينا
نحاول الصبرَ عنكم كي نلوذ بهِ
والصبرُ في الحب صعبٌ لا يلبّينا
نعلّل النفسَ بالآمال تسليةً
لا النفسُ تسلو ولا الآمالُ تُغنينا
أغلى منالٍ لنا في الكون قربُكمو
نرضاه لو كانتِ الأقدارُ تُرضينا
لكنما الدهرُ يأبى أن يُسالمنا
ولو لماماً وآلى أنْ يُجافينا
ألقى نوائبَه فينا وأعجزَه
أن لا ينالَ مثالاً من مَعالينا
وكرّرَ الخطبُ أحمالاً فما ضعفتْ
منا نفوسٌ ولا كلّتْ مَرامينا
لم يلقَ إلا ثباتَ العزمِ مُتّقداً
وشدّةُ الصبرِ لا وَهْناً ولا لِينا
قد يعلم الصبرُ أنا خيرُ جيرتهِ
عزماً وحزماً وأوفاهم موازينا
ويعلم الدهرُ لو زادت نوائبُه
وفا الخليلين عن نعماه يُغنينا
هما الأحبّةُ لي إن خانني زمنٌ
أسلتُ جرحيَ إن عزَّ المُداوونا

✡✡✡✡

رمزُ الوفاءِ وأهلُ الصدقِ في ثقةٍ
إن خانني الدهرُ ما زالوا مُوالينا

يــرجــون لـي مــالــهم جـهـداً ولـو قـدروا

لأوقـفـوا الـقـدرَ المـكـتـوب في الحـيـنـا(*)

إن يـأسُ شِـعـرُهـمـا قـلـبي فلا عـجبٌ

صـدقُ المـواسـاةِ من خـيـر المـواسـيـنـا

أحـيـا بـقـلـبيَ آمـالاً وعـلّـمـني

أسـمى الـوفـاءِ وإخلاصَ المـصـافـيـنـا

قـد كـان عـهـدي بـهم والـشـملُ مـجـتـمعٌ

والأنسُ مـشـتـملٌ والـصـفـوُ يُـغـريـنـا

فـفـرّقَ الـدهـرُ شـمـلَـيْـنـا وجَـرَّعـني

بـغـيـر ذنبٍ كـؤوسَ الـصـبـرِ غِـسْـلـيـنـا

كأن(١) لم يكن في أعالي القصرِ مجلسُنا

ولا زهـا بـفـنـون الـشـعـرِ نـاديـنـا

ولا غـدا بـضـفـاف الـبـحـرِ مـنـزهُـنـا

ولا رأتْ قـهـوةُ الـسُّـمّـار سـاريـنـا

ولا في(٢) ثرى «الرولةِ» الفيحاء طاب لنا

حسنُ المقامِ وحسنُ الحُور والعِينا(*)

الـروضُ يـعـبق والأغـصـانُ وارفـةٌ

والـغِـيـدُ تـهـتف بـالأنـغـام تـلـحـيـنـا

من كلّ مـيّـاسـةٍ بـالحُـسن غـانـيـةٍ

تَـرنّحَ الـدلُّ في أعـطـافـهـا لِـيـنـا

إذا شـدتْ بـأغنّ الـصـوتِ تحـسـبُه

مـزمـارَ داوودَ مـا بـين المـغـنّـيـنـا

✡✡✡✡

(*) الصواب: الحينِ - العينِ.

وكم طغى السعدُ في أنحائنا مَرَحاً
إذا ترنّمَ فوق الرملِ شادينا
والرملُ مرآةُ نورٍ قد برزنَ بها
عرائسُ النخلِ تُبدي حسنَ وادينا
والبدرُ يشرق والأكوانُ سافرةٌ
وبهجةُ الأنسِ والأفراحُ تطوينا
وقد شربنا كؤوسَ الودّ مترعةً
نخبَ الصداقةِ والإخلاص ساقينا
هيهاتَ أن تبلغَ الصهباءُ ما بلغتْ
تلك الكؤوس ولو غالى المغالونا

✲✲✲✲✲

يا صاحبيَّ إذا زرتم مرابعَنا
بعد الغداةِ وجلتم في مغانينا
وجئتمو منزلاً بالشرق مكتئباً
من بعد ما كان بالأفراح يُحيينا
تذكّروا صاحباً بالأمس نادمَكُم
كأسَ السرورِ وأصفى الودَّ نادينا
واليومَ أمسى يعاني هولَ محنتهِ
نائي الأنيسِ بعيدَ الدارِ، مسكينا

✲✲✲✲✲

أواه تغلبني الذكرى فأحبسها
لو أستطيع وأُخفيها ولو حينا
قد بُدّلَ الصفوُ أكداراً وما ذهبتْ
نشوى الشبابِ ولم تبلَ حواشينا
وريّقُ العمرِ شابت صفوَ بهجته
أنكى المصائبِ أردتنا مُصابينا

مـاذا نـعـوّض عن عـهـد الـصـبـا بـدلاً
إذا تَـقـضّى ومـا نـلـنـا أمـانـيـنـا
ومـا نـؤمّل في الـدنـيـا وبـهـجـتـهـا
وهي الـتي بكـؤوس الـصـابِ تـسـقـيـنـا
تُـبـدي حـقـيـقـتـهـا شـرّاً وتـخـدعـنـا
بـالـوهم لـو كـانتِ الأوهـامُ تُـغـنـيـنـا
فلا المـصـائبُ بـعـد الـيـومِ تُـحـزنـنـا
ولـو تـدوم ولا الآفـاتُ تُـبـكـيـنـا
ولـيس في الأمـر إلا أن نُـسـلّـمـهـا
لحـكـمـة الـعـادلِ الجـبّـار راضـيـنـا

****

أبو سرور الجامعي

ابن زيدون

جئنا لنحوكَ في ذكرى لماضينا
فغنِّنا كيفما تهوى تُغنّينا
جئنا لنحوكَ والإخوانُ قد حضروا
كلٌّ له شغفٌ فيما له جينا
بعدُ المسافةِ شيءٌ ليس يمنعنا
من أن نطوفَ نشاوى في أمانينا
إذا تغنّتْ بأقصى الغربِ صادحةٌ
أجابها من أقاصي الشرقِ شادينا
ونحن للحب أهلوه وأسرتُه
مازال فينا عفيفاً في تَصادينا
نموت بالحب عُشّاقاً على وَلَهٍ
كما تُميت مواضينا أعادينا
إذا سقيتَ كؤوسَ الخمرِ ذا سفهٍ
فكأسُ خمري أحاديثُ المحبّينا
يا أيّها الأُدبا إن الخلود لكم
لو بات جسمُكمُ بالأرض مدفونا

- حميد بن عبدالله بن حميد بن سرور العُماني الجامعي، المكنّى بأبي سرور.
- ولد سنة ١٩٤٢ في سمائل، وتعلم على المشايخ.
- عمل مدرساً ببعض المساجد ثم عيّن قاضياً.
- له مؤلفات، وله دواوين شعرية، جمعت في «ديوان أبي سرور» في ثلاثة مجلدات عام ١٩٩٨، صدر عن مكتبة الفردوس بسمائل.

ما مات منا فتًى أبقى لنا أدباً
هذا ابنُ زيدونَ يا حيٍّ ابنَ زيدونا
يا نجلَ زيدونَ لو أبصرتَنا زُمراً
جئنا لذكراكَ أبصرتَ الوفادينا
يا إبنَ زيدونَ إن الموت ما جرحتْ
سِكّينُه جائشاتٍ منكَ تَدوينا
خلّفتَ للدهر تاريخاً وألويةً
من مات في ظلّها ما مات مَغبونا
أين التواشيحُ يا قيثارَ أندلسٍ
قل لي فديتُكَ والأوتارُ تُشجينا
وأين ولادةٌ حتى نُناشدَها
في الله ما كان يَسبيها ويسبينا
ما أكرمَ الشعرَ إن سيقتْ فرائدُه
عذراءَ لم تسألِ الأموالَ مُثرينا
يا أيها الشُّعَرا إن كان شعرُكمُ
كسبَ الدراهمِ كُفّوا لا تُنادونا
إنا من الملأ السامي مكانتُهُ
لا يطلب الشهمُ منّا دهرَه الدُّونا
فما أطاح بآدابٍ لنا غُررٍ
إلا مقالتُكم في الشعر أعطونا
مواهبُ اللهِ كالآداب قيّمةٌ
ووضعُها في سوى أهدافها شِينا
ذكرى ابنِ زيدونَ ذكرى ليس غايتُها
نبكي عليه وندعوه يُغنّينا
فلنُعملِ السيفَ في حينٍ وآونةً
نؤمّ بالناس والأخرى تُلبّينا

نــحن الألى جــاء بــالإسلام أحــمــدُنــا
بــالرشــد والــعــدل والخـيـرات يُـغـنـيـنـا
كُــنّــا عــلـى الــكــون في شــامٍ وفي يمنٍ
في الـشـرق والـغـرب حُكّـاماً سلاطـيـنـا
نـــدعـــو إلـى الـــلـه ربّـــاً لا شـــريكَ له
بـالــسـلـم والحـرب حـتى لانَ عـاصـيـنــا
فــعــاشتِ الــنــاسُ في عــدلٍ وفي نِــعَمٍ
مــا ضلّ من بــات مَــســعــوداً بــواديــنـا
هــيّـــا بــنـــا نــتــجــلّى حــول أنــدلسٍ
لــعلّ ذكـرى الألى فـيــهـا تُــحـيّــيـنـا
أين الألـى من رجــال الــعــلـمِ وا أســفًــا
بــفــقــدهـم أصــبحَ الإسلامُ مَــحــزونــا
وأين قــرطــبــةٌ من مــثل أحــمــدهــا
بــهــا نــقــيـم له الــذكـرى مــيــاديــنـا
وأين مـــســـجـــدُكِ المـــشــــهـــورُ وا ألمي
قـد بـات في يـد أهلِ الـشـركِ يـشـكـونـا
يــشـكــو إلــيــنــا ولــكنْ من يُــنــاصـره
مــات المــنــاصــرُ إلا من يُــغــنّــونــا
وذا هـــو الآخـــرُ الـــثــانـي يــنــاديــنـا
هــذا هـو الـقـدسُ في الأغلال يـا سِـيـنـا
تــلــقى بمــحــرابه الأطـفـالَ قـد ذُبـحـوا
أين الــكــمــاةُ فـقـد صـدَّ المـصـلُّـونـا
طــغتْ يــهــودٌ ومن أرسى دعــائــمَــهــا
ولا نـصـيـرَ سـوى رقصِ الـسَّـفـيـهـيـنـا
مــتى تــرى تُــولــد الأحــرارُ يــا أمــلي
مُـجـاهـدين لـنـصـر الـلهِ يـدعـونـا

مـني الـسلامُ عـلـى الـحـمـراء خـالـصـُهُ
في قصرهـا الـضـخـمِ من أعـلـى مـبـانـيـنـا
تــلـك الــلــيــاليَ مــا زالت بــنــا دُوَلاً
تـغـدو كـمـوسى وكم أمـستْ فـراعـيـنـا
مـا اغـتـرَّ بـالـدهـر إلا جـاهلٌ فُـقِـدتْ
مـنه الـبـصـائـرُ أن يَـقـرا الـدواويـنـا
لـكـنـنـا لـم نُـدانِ الـيـأسَ في غـرضٍ
بلِ الـرجـاءَ نُـؤاخـي في أمـانـيـنـا
إنـا عـرفـنـاكِ يـا أيـامُ مـذ وُلـدتْ
عـادٌ وفـرعـونُ مـا لانت مَـواضـيـنـا
نـحن الـلـيـالي ونـحن الـدهـرُ فـارتـدعي
بـنُـصـرة الـلهِ لـقَّـنّـاكِ تَـلـقـيـنـا
بـالأمس لـقَّـنكِ الآبـا ونـحن عـلـى
مـنـصّـة الـيـومِ والأبـنـاءُ يـتـلـونـا
فلا تـظنَّ يـهـودٌ والـذين لـهـا
قد مـهّدوا الـغـصبَ للأقصى سـيـبـقونا
غـداً سـنـذريـهمُ مـثلَ الـرمـالِ عـلـى
شـتّى الـفـيـافي رمـاداً في المـيـاديـنـا
غـداً سـيـبـعث ربّي من به انـتـصـروا
ومن لـه نـاصـروا قـومـاً وفـيّـيـنـا
غـداً سـنـهـشم أنفَ الـشـركِ صـاعـرةً
والـقـدسُ مـنـتـصـرٌ يُـؤوي المصـلّـيـنـا
غـداً بـقُـرطـبـةٍ تـعـلـو مـآذنُـنـا
والـشـركُ مُـنـدحِـرٌ يـشـكـو عـوالـيـنـا
يـا حـاضـري مـجـلسِ الـذكـرى عـلى أدبٍ
قـد صـان سـالـفُـنـا مـجـداً كـمـا صِـيـنـا

أنتم لذا المجدِ من أبناء نجدته
قُوّادُه فإلى العلياء لاقُونا
هذي عمانُ أمامَ الكلّ رافعةً
بندَ التقدّمِ فيما فيه تأتونا
هذي الثقافةُ هذي المجدُ من قِدَمٍ
وحاضرٍ عندكم فيما تشاءونا
لم يرهبِ الدهرُ إلا من رماحهمُ
فلا أمانَ إذا شحّوا بآمينا
جُبنا القفارَ وقد خضنا البحارَ وما
رام العدا دونما نهواه يثنونا
خضنا المعاركَ خضناها بكلّ فتًى
تهتزّ منه السَّما والأرضُ ما دِينا
نسقي أحبَّتنا في سلمنا عسلاً
كما سقينا العِدا في الحرب غِسْلينا
والناسُ ما اعتصموا بالله وانتظموا
على الشريعة نالوا ما يشاؤونا
حيٍّ ابنَ زيدونَ والآدابَ والأُدَبا
والذكرياتِ إذا لله تدعونا

****

سيف النصر المجلي

المنصورة جنة النيل

سابٍ - جمالُكِ - قاصينا ودانينا
يا جَنَّةَ النيلِ حَيَّيْنا فحَيِّينا
خِفِّي إليـنا فكم بِتنا يؤرِّقنا
شوقٌ تُناجيه أشواقٌ تُناجينا
كم سهَّدَ الطرفَ والأطيارُ هاجعةٌ
ذكرى اختيالكِ في دنيا أمانينا
كم داعبَ القلبَ أطيافٌ مؤرِّقةٌ
وساءلَ الصبرَ ما للصبر جافينا
ولليالي التي كانت تُساقينا
خمرًا معتَّقةً فيها أغانينا
أضحتْ تُجرّعنا من بعد أنعمها
كأسَ المرارةِ غِسلينًا فغِسلينا
وباعدتْ بين قلبَيْنا مُحقّقةً
ما كان يخطر في أحلام واشينا

✡✡✡✡✡

- سيف النصر عبدالعزيز نصر عطيوة المجلي.
- ولد عام ١٩٢١ بقرية الميهي التابعة لمحافظة الدقهلية بمصر.
- عضو اتحاد الكتاب.
- نشر شعره في العديد من الصحف والمجلات المصرية.

يــا جــنّــةَ الــنــيلِ والأيــامُ صــانــعــةٌ
كـنّـا نُـخَـالـسـهـا نـشـوى تَلاقـيـنـا
أضـحتْ تُـسـارقـنـا طـيـفًـا يـؤانـسـنـا
مـا أجـملَ الـطـيفَ لـو دامت لـيـالـيـنـا
وأنتَ يــالــيلُ كم حُـــمّـــلتَ من تَــرَحٍ
من الـشـكـاة، وكم عـاتـبتَ قـالـيـنـا
وكم سـمـعتَ حـديثَ الحبِّ يُـرسـلـه
عـطفُ الـحـبـيبِ، وأيـامٌ يـصـافـيـنـا
وكم رثـيتَ لآهــاتي تُـنـهـنـهـهـا
أواه لـو كـانتِ الآهـاتُ تَـشـفـيـنـا
وكم تـقـول تَـأمّلْ حـسـنَـهـا مـهلاً
فـلن تَـرُوعكَ في صـفـوٍ عـواديـنـا
مـا بـالُ وعـدِكَ قـد حـالت مـعـالـمُه
وبـاعـدَ الـصـفـوَ لـيلٌ كـان يُـدنـيـنـا
وصــار قــولُكَ ألحـــانًــا ممــزّقــةً
لا يـجـمع الـنـايُ مـنـهـا مـا يـغـنّـيـنـا
يـا جـنّـةَ الـنـيلِ مـا لـلـطـيف يـذكـرني
ولـيس تـذكـرني يـومًـا مَـغـانـيـنـا
طـفـقتُ ألـثم أطـيـافي عـلى شـغفٍ
والحبُّ يُـشـعـلـه جـمـرًا تَلاقـيـنـا
وصــرتُ أنــهب لــذّاتي ممــنّــعــةً
مـا كـان يمـنـعـهـا إلا تَـسـامـيـنـا
وقـلتُ: فـلـتُـسْـعدِ الأطـيـافُ صـاحـبَـهـا
إن كـان طـيفٌ عن المحـبـوب يُـغـنـيـنـا
✲✲✲✲✲

يـا جـنّـةَ الـنـيلِ أين الـشطُّ صـاحـبُـنـا؟
نمـضي بـعـيـدًا فـيُـغـضي لا يـنـاديـنـا
ويــســمع الــســرَّ ألحــانًــا مــوقّــعــةً
تـشـدو بمـهـجـتـنـا من لحظ سـابـيـنـا
وأين مــوجٌ ضــحــوكٌ من جــوانــبــنــا
يمـشي الـهـوينى يُـغـنّي من أغـانـيـنـا؟
وأين أين لــيــالٍ كــان شــاعــرَهــا
صمتُ الـطـبـيـعـةِ بـالإصـغاء يُشـجـينا؟
يــا جــنّــةَ الــنــيلِ كم غــنّــتكِ شــاديــةٌ
وكم تحــدّثَ عن مَــجلاكِ راويــنــا
وكم تــبــاهت بكِ الــبــلــدانُ في عــجبٍ
كـمـا يـبـاهي بـحسن الـشـدوِ شـاديـنـا
هــذي لِــحَــاظُكِ كم أردتْ مــدجّــجــةً
من الـكـتـائب، كم أفـنتْ مَـيـامـيـنـا
كم مــزّقتْ زاحفَ الأعـداءِ أســهــمُــهــا
وكم أذلّتْ عـلى الـدنـيـا سلاطـيـنـا؟

****

سليم الزعنون

يا أخت أندلس

يـــا أختَ أنـــدلسٍ طـــاف الحـــيـــاءُ بـــنـــا
ولـم يـــعـــد لكِ جـــدوى في تـــأسّـــيـــنـــا
فـــمـــا اعـــتـــذارٌ لأهلٍ فـــرَّ قـــائـــدُهم
لم يـــعـــمـــلـــوا صـــالحـــاً دنـــيـــا ولا دِيـــنـــا
يـــا إبنَ زيـــدونَ مـــا قـــد كـــان أحـــوجَـــنـــا
عن جـــيِّـــد الـــشـــعـــرِ سـيـفٌ في أيـــاديـــنـــا
يـــا أختَ أنـــدلسٍ جـــار الـــزمـــانُ وقـــدْ
كـــانت بـــوحـــدتـــنـــا تـــســـمـــو مـــســـاعـــيـــنـــا
حـــتى بـــكـــيـــنـــا وشـــوقي مُـــنْـــشـــدٌ كـــلفٌ
«يـــا نـــائحَ الـــطـــلـــح أشـــبـــاهُ عَـــواديـــنـــا»
ضـــاعت فـــلـــســـطـــينُ مـــنـــا واســـتـــوى شَـــبَهٌ
«أبـــكـي لـــواديكِ أم تـــبـــكـي لـــواديـــنـــا»
يـــا طـــارقَ بنَ زيـــادٍ صُـــغـتَ مـــلـــحـــمـــةً
صـــارت مُـــدوّيـــةً ألحـــانُـــهـــا فـــيـــنـــا
«غـــرنـــاطـــةٌ» وَجْـــرَنـــادا في نـــضـــارتـــهـــا
وجـــهـــانِ لـــلـــعـــصـــر يُـــرضـــيـــنـــا ويَـــكـــويـــنـــا

– سليم ذيب الزعنون.
– رئيس المجلس الوطني الفلسطيني، من مواليد ١٩٣٣.
– دواوينه: «يا أمة القدس» ١٩٩٥.

وجـاء قــصــرٌ عــلـى الحــمــراءِ أعــجــزَهمْ
لا زالُ درّةَ عِـــقـــدٍ في مَـــبـــانـــيـــنــــا
جــنّــاتُ عــدنٍ تــعــالـى الــلـهُ خــالــقُــهـا
تــلـك الــنــوافــيــرُ تُــعْــلــيــنـا وتُــدْنــيـنـا
من تحــتــهــا المـاءُ يــجـري غــيــرَ مــنــقــطعٍ
يــسـقي قــلــوبَ الــعــذارى والمحــبّــيــنـا
وســـاحـــةٌ لأســـودٍ عـــزٌّ مَـــرْبــضُـــهــا
يــنــســاب من فــمــهـا مـاءٌ لــيــســقــيـنـا
تــلك الجــبــالُ «نــيــفــادا» تــاجُــهـا جَــمَــدٌ
وأبــيضُ الـــثــلــجِ في عُــرسٍ يــنــاديــنـا

****

الأندلس والقدس

يـا قـدسُ يـا قـبـلـةَ الـدنـيـا وزهـرتـهـا
شـامـيـرُ صـافحَ «بِـيـريـزاً ورابـيـنـا»
قـد أعـلـنـوا قَـسَـمـاً قـد قـال قـائـلُـهم
شُـلَّتْ يمـيـنـي إذا مـا خـنتُ صـهـيـونـا
دعـوى الـبـراقِ كـسـبـنـاهـا فـلـيس لـهم
إلا بـكـاءُ رجـالٍ لـيـس يـؤذيـنـا
فـقـلـتُ «أُسْـلـو» عـلـى الاكـتـاف مـيّـتـةٌ
حـتـى المـعـزّين مـا عـادوا مُـعـزّيـنـا
كـأنـهـم نـدمـوا فـالـعـهـدُ يـنـقـضه
مـنـهـم فـريقٌ فلا دنـيـا ولا دِيـنـا
والأرضُ في الـقـدس تـسـبـيـهـا وتـسـلـبُـها
عـصـابـةُ الـغـدرِ والـدنـيـا تـنـاديـنـا
أين الـعـروبـةُ والإسلامُ كـان لـهم
طـبلٌ ومـا عـاد ذلك الـطـبلُ يـكـفـيـنـا
مَنْ أَجَّلَ[1] الـقـدسَ خـانـوه فلا أملٌ
قـد أصـبحَ الـيـومَ مـحـزونـاً ومـغـبـونـا
في غـزّةٍ قـدّمـوا طُـعـمـاً لـدولـتـنـا
والـضـفّـةُ الـيـومَ تـشـكـو الـهمَّ والـهُـونـا
قـد قـسّـمـوهـا وصـارت أرضُـهـا بـدداً
تـشـكـو من الـضـيم تـقـسـيـمـاً وتـوطـيـنـا

(١) أي من وافق على تأجيل قضية القدس إلى المرحلة النهائية.

تــلك الــســيــادةُ حــلمٌ لــيس نــدركه
وهل فـلـسـطـينُ قـد تُـبـقي فـلـسـطـيـنـا؟

يــا أهــلَــنــا يــا رجــالَ الأرضِ إن لــكم
دورًا فــمــا زال حبُّ الأرضِ يُـشــجــيــنــا

يــا أهــلَــنــا اتّــحــدوا في مــوقفٍ أزمٍ
جـاروا عـلـى الـقـدس إن الـقـدس تـدعـونـا

مــا عــاد يــنــفع لا لاءٌ ولا نَــعَمٌ
سـوى إرادةِ شـعبٍ سـوف تُـحـيـيـنـا

إنْ يـدفـعـوا لاحـتـرابٍ فـاحـذوروا شَـرَكـاً
دومــاً يُــداعب شــوقــاً في أعــاديــنــا

إن الـسـفـيـنـة فـوق الـصـخـرِ يـدفـعـهـا
نــحــو الــهلاكِ ريــاحٌ لـيس تـهـديـنـا

والمـسـلـمـون فـتـلك الـيـومَ قِـبـلـتُـهم
قـد هُـدِّدتْ وهُـمـو بـالـوهم لاهـيـنـا

«والــفــاتــيــكــانُ» فلا تــكــفي مــودَّتُه
فـالـقـدسُ بـالـفعل نُـحـيـيـهـا وتُـحْـيـيـنا

قـالـوا: أقـيـمـوا جـنـوبَ الأرضِ دولـتَـكمْ
فـالـضَّـفَّـةُ الـيـومَ تشـكـو الـهمَّ والـهُـونـا

تــلك الــســيــادةُ حُــلْم لــيس يُــدْرِكُهُ
من كـان بـالـوهم مـخـدوعـاً ومَـسـكـونـا

هــذا الــسلامُ عــلـى أرض الــسلامِ فـمـا
زلَّتْ بـنـا قـدمٌ فـالـلـهُ يـحـمـيـنـا

يـا أهـلَـنـا في ظلام الـلـيلِ فـجـرُ ضُـحًى
لــعلَّ ربي إلـهَ الــعــرشِ يــهــديــنــا

****

شاطئ ملقا

يـــا بـــحـــرَ أنـــدلسٍ مـــاذا تُـــعـــدُّ لـــنـــا
كـيـداً جـديـداً وكـان الخـيـرُ شـاطـيـنـا
يـا شـاطـئًـا ذهـبـيّـاً بـاتَ مُـكْـتـسـيـاً
عُـرْيَ الـصـبـايـا وهـذا لـيس يُـرضـيـنـا
كم كـــاعبٍ أبـــرزتْ نـــهـــداً وزاحَـــمهُ
نـهـدٌ كـفـانـا مـزيـداً في مـعـاصـيـنـا
مـــا عـــاد في عـــمـــرنـــا قـــوسٌ لمـــنـــتـــزعٍ
كلُّ الـسـهـامِ أصـابتْ لـيس تُـخـطـيـنـا
أدعـــو إلى الـــلـه بـــالآيـــاتِ أدفـــعـــهـــا
حـتَّـامَ أبـقى بـقـيـد الحبّ مـسـجـونـا
أمـــا تـــرانـــا كُـــهـــولاً عـــزَّ مـــطـــلـــبُـــهـــا
«ونـابَ عن طـيب لـقـيـانـا تجـافـيـنـا»
كلُّ الـــرؤى ودَّعـــتْـــنـــا وهـي قـــائـــلـــةٌ
لا لن يـعـود مَـعـينُ الحبِّ يَـسْـقـيـنـا
ونـــرقب الأفقَ شـــمسُ الحبِّ قـــد غَـــرُبتْ
لـيلٌ طـواهـا، غـداً يـأتي لـيـطـويـنـا

****

شفيق جبري

في ظلال كرمة ابن هانئ

يـا كـرمـةً ذويتْ فـيـهـا أمـانـيـنـا
لا الـظلُّ ضـافٍ ولا الأفـنـانُ تُـنـديـنـا
يـا نـائحَ الـكرمـةِ الـولـهى ظلائـلُـهـا
سقتْ غـصـونَكَ أجـفـانُ الـشـجـيّـيـنـا
كـانت لـيـالـيكَ بِـيـضـاً في دجـنّـتـهـا
يـرفّ فـيـهـا الـهـوى ريّـانَ مـجـنـونـا
مـا ضـاع عـمـرُكَ إلا في مـضـاحـكـةٍ
ولا تـمـلّـيتَ إلا الخـفضَ والـلّـيـنـا
لاهٍ عن الـدهـر مـشـغـولٌ بـنـاعـمـةٍ
من الـشـبـيـبـة في أفـيـاء لاهـيـنـا
يـا عـيـشـةً في حـمى الـلـذّات فيّـأهـا
سكرُ الـهـوى والـغـواني والخـلـيّـيـنـا
ملأتَ جـانـبَـهـا لـعـبـاً وتـسـلـيـةً
خـيـرُ الـلـيـالي الـتـي بـاتت تُـسلّـيـنـا

- شفيق جبري شاعر الشام.
- ولد في دمشق عام ١٨٩٧ وتوفي عام ١٩٨٠م.
- تقلب في عدد من المناصب الإدارية، وانتخب عضواً في المجمع العلمي العربي (مجمع اللغة العربية بدمشق اليوم)، وأصبح عميداً لكلية الآداب بدمشق.
- مَثَّل كلية الآداب في أكبر المحافل الدولية والمهرجانات، ومن ذلك قصائده في مهرجان أحمد شوقي وفي مهرجان المتنبي وغيرهما.
- للشاعر عدد من المؤلفات، منها: «أبو الفرج الأصفهاني»، و«أنا والشعر» و«نوح العندليب» وديوان شعره الذي دون

وما الحياةُ إذا طالت مسافتُها؟

وأنتَ تدرجها ولهانَ مَشجونا

فما أبالي وعينُ الموتِ ساهرةٌ

أعشتُ عشرينَ أم عشتَ الثمانينا

قُمْ ناجِ كرمتَه واسألْ منابتَها

أما على مصرَ غِرّيدٌ يُغنّينا؟

قد كنتَ بلبلَها في عزّ نهضتها

وَفَّيتَها الحقَّ في رأس الموفّينا

جعلتَ تِمثالَها شعراً تميس بهِ

أبقى على الدهر من آثار آمونا

وحيٌ من الله لم يهبط على ملأٍ

من ألف عامٍ ولم ينزل مثاوينا

دمُ الجهادِ على عطفيه منسجمٌ

يُريكَ في ثورة النيلِ الميادينا

يُخلّد النهضةَالميمونَ طالعُها

في ظلّ قومٍ على الجُلّى مَيامينا

غنّيتَ بالنيل في شجوٍ يُباكرنا

على الكنانة أو عيدٍ يُغادينا

صُغتَ القوافي له في كل نازلةٍ

محبوكةَ الوشيِ من وشي اليمانينا

لمّا نفوكَ عن الأهرام رقَّ لها

وافٍ يناجي ذرا الأهرامِ محزونا

فما سلوتَ ظلالَ النيلِ في بلدٍ

أرخى ظلالتَه يُسرى أيامينا

✡✡✡✡✡

يـا نــاظمَ الـشـرقِ في شـعـرٍ يُـطـاف بهِ
علـى حـمى الـشرقِ روحـاً أو ريـاحـيـنـا
قـــد كـــنتَ تـــعـــزيَـــةَ الإسلام في ألمٍ
يـشـتـدّ حـيـنـاً وتـطـويه الأُسـا حـيـنـا
كم نـــوحـــةٍ لكَ في خـــطبٍ أُصـــيبَ بهِ
يـخفّ في نـغـمـهـا جـرحُ المـصـابـيـنـا
مـــازلتَ تـــدفع عـــنه كلَّ عـــاديـــةٍ
حـــتى تَـــمـــزّقَ لا دنـــيـــا ولا دِيـــنـــا
مُـسـتـعـبـدٌ في ربـوعٍ كـان سـيّـدَهـا
ومـسـتـضـامٌ بـأيـدي الأجـنـبـيّـيـنـا
في كلّ نـاحـيـةٍ عـسفٌ يُـهـدّمـهـا
تـكـاد تـطـفح بـالـشـكوى نـواحـيـنـا
أين الخلافـــةُ في الإسلام مـــشـــرقـــةً
تُـلقي على هـامة الدنيا التّحاسينا؟
مـشتْ لـهـا الأرضُ وانـقـادت لـطـاعـتـهـا
فـمـا تـرى فـوقـهـا إلا مَـذاعـيـنـا
يـا صـرخـةً في شـتـات الـتـركِ صـادقـةً
تـكـاد تـسـمع في الـتُّـرب الـسلاطـيـنـا
بـكـيـتَـهم في مُـصـابٍ هـدَّ جـانـبَـهم
عـلى أدرنـةَ يُـضـنـيـهم ويُـضـنـيـنـا
تـلك المـنـاكـرُ مـا زالت فـظـاعـتُـهـا
ملءَ الخـواطـرِ والأنـظـارِ تُـدمـيـنـا
وصـــفتَ آثـــارَهـــا في أخت أنـــدلسٍ
وصفاً يُـهـجّن أهلَ الـغـربِ تـهـجـيـنـا
بـــيـــنـــا نـــراهم عـــلى ســـلمٍ ملائـــكـــةً
نـلـقى الـرجـالَ عـلى حـربٍ شـيـاطـيـنـا

أضحتْ حضارتُهم غِشّاً ومكذبةً
فعلَ الذئابِ وأقوال النبيّينا
مازلتُ أُحسنُ ظنّاً بالذي زعموا
حتى أسأتُ بدعواهم أظانينا
هذي الظواهرُ لم تصدق بواطنُها
أمستْ على الدهر سِرّاً في عوادينا

☆☆☆☆☆

يا ويحَ قلبكَ لم تهدأ جوانبُه
عن عبد شمسٍ ولم تهدأ جوانينا
أملتْ عليكَ بقاياهم بأندلسٍ
مُخلّداتِ القوافي في أماليِنا
بنوا وهدّمتِ الأيامُ بنيتَهم
وكم بناةٍ لهدمٍ ما يُبَنّونا
مُلْكٌ شتيتٌ وتيجانٌ مبعثرةٌ
لم يبقَ من عزّها إلا تَأذّينا
شفتكَ منهم قصورٌ فنُّها عجبٌ
يكدنَ بعد انحدار الملكِ يهوينا
كانت لنا في خوالي الدهرِ تهنئةً
فأصبحتْ في بواقيه تَعازينا
لمستَ فيها عظاتِ الدهرِ دارجةً
على بقايا رسومٍ من أمانينا
مشتْ عليها الليالي في شدائدها
فبَدّلتْ عزَّها الوضّاحَ تهوينا
فلا القصورُ قصورٌ إن نزلتَ بها
ولا الملوكُ إذا ناديتَ واعونا
حلمٌ مرحنا به حيناً، وتمنيةٌ
ظلّتْ على زحمة الأحقابِ تُشجينا

يـا وقـفـةً في ظلال الـطـلحِ تـسـألـهـا
نـشـجى لـواديكِ أم نـأسى لـواديـنـا
نـاجـيتَ نـائـحَـهـا نجوى هـززتَ بـهـا
تـلك الـريـاحـينَ حـتى كـدنَ يـبـكـيـنـا
فـأين في الـطـلـح تـيـجـانٌ تُـظـلّـله؟
وأين فـــيه سلاطـــينٌ يـــحـــامـــونـــا؟
بـعـثتَ فـيـنـا هـوى المـاضي وروعـتهِ
والـنـفسُ تـهـتـزّ من روعـات مـاضـيـنـا
تـكـاد تـلـمس جـنـبَـيْه أنـامـلُـنـا
إذا وصـــفتَ فـــتُـــدنـــيه وتُـــدنـــيـــنـــا
عـلى نـشـيـدكَ من تـخـلـيـده صـورٌ
زهتْ حـضـارتُـنـا فـيـهـا أفـانـيـنـا
في كلّ نـــاطـــقـــةٍ فنٌّ يُـــفـــرّحـــنـــا
وكلِّ هـــامـــســـةٍ ســـحـــرٌ يُـــبـــكّـــيـــنـــا
صـحـائفُ خَـلّـدوا فـيـهـا مـنـاقبَـهم
فـــهل تـــرى بـــعـــدَهـــا إلا عـــنـــاويـــنـــا؟
كـنّـا مـعـانيَ في الأحـقـاب لامـعـةً
مـضتْ ومـا بـقـيتْ إلا أسـامـيـنـا

☆☆☆☆☆

يـا دمـعـةً لكَ في الـفـيـحـاء هـيّـجـهـا
مُـلْكٌ لمـروانَ مـغـصـوبٌ يـنـاجـيـنـا
غـنّـيتَ بـالمـلك، والـتـيـجـانُ هـاويـةٌ
حـتى لمـسـنـا مَـهـاويـهـا بـأيـديـنـا
فـأين مـسـجـدُكَ المحـزونُ؟ تـسـأله:
هل قـام مـروانُ في حـشـدِ المـصـلّـيـنـا

وأين من عــبــد شــمس ٍســادةٌ درجــوا
عــالــيـن كــالــشـمس لا عــابــاً ولا هُــونــا؟
هِــجتَ الــعـروبــةَ في أفــيــاء غــوطــتــنــا
حــتى حــنــونــا عــلــيــهــا عــبــشـمـيّــيــنــا
بــعــثــتَــهــا في الــحــمى من بــعــد هــدأتــهــا
حــيــنــاً من الــدهــر نــطــويه ويــطــويــنــا
نــامت خــواطــرُنــا عــنــهــا فــأيــقــظَــهــا
ســحــرُ الــقــوافي فجــاشت في أغــانــيــنــا
من بــعــد مــا ذهــبتْ عــنّــا خــيــالــتُــهــا
حــنّتْ إلــيــنــا خــيــالاتٌ تُــنــاغــيــنــا
ذكــرى أمــيّــةَ لم تــبــرح حــواضــرَنــا
لمــا بــكــيتَ ولم تُــوحش بــواديــنــا
نــاجــيتَ جِــلّقَ في وحيٍ تُــردّده
عــلى اعــتلاج الأذى فــيــهــا مَــغــانــيــنــا
عــلى بــيــانكَ وشيٌ من خــمــائــلــنــا
وفي قــوافــيكَ طــيبٌ من روابــيــنــا
لم تــنسَ نــكــبــتَــهــا والــلــهُ حــارسُــهــا
لمــا صــبــغــنــا ثــراهــا من أضــاحــيــنــا
هــبّتْ تحــيّــتُكَ الــريّــا يمــوج بــهــا
صَــبــا الأصــائلِ في ريّــان نــاديــنــا
فــضجَّ كلُّ أبيٍّ من شــكــائــمــنــا
وثــار كلُّ كــريمٍ من تــغــاضــيــنــا
غــمــزتَــهــا غــمــزةً هــزّتْ جــوانــبَــهــا
فــانــصــاع في غــفــيــة الأجــفــانِ غــافــيــنــا
قــصــائــدٌ بــدم الأحــرار مــائــجــةٌ
من وحي جــلّقَ نُــعــلــيــهــا وتُــعــلــيــنــا

مـغـمـوسـةٌ في نجـيـعٍ من حـصـائـدنـا
مـصـبـوغـةٌ بـصـبـاغٍ من مـواضـيـنـا
فـيـهـا من الـثـورة الـحـمـراء أمـثـلـةٌ
تَـمـثّـلتْ في مَـجـالـيـهـا مـعـالـيـنـا
تـلـكم أمـيّـةُ كـرَّمـنـا مـنـازلَـهـا
فـلن تـرانـا عـلـيـهـا مُـسـتـذلّـيـنـا

☆☆☆☆☆

يـا بـنتَ فـرعـونَ والأشـجـانُ مـائـجـةٌ
هلاّ صـبـرتِ وبـعضُ الـصـبـرِ يُـسلـيـنـا
لـو كـان يـشـفـي رثـاءٌ في مُـلـمّـتـنـا
صـغـنـا الـجـوانحَ شـعـراً في مـراثـيـنـا
يـكـفـي الـنـعـيَّ خـلـوداً في قلائـدهِ
هـذا الـرثـاءُ الـذي أعـيـا قـوافـيـنـا
فـنمْ عـلـى الـدهـر شـوقي في هـواجـسـنا
مُـورَّفَ الـظلِّ لا نـامتْ لـيـالـيـنـا
الـعـبـقـريّـاتُ في الـدنـيـا مُـخـلّـدةٌ
ومن يـسـدّ سـبـيلَ الـعـبـقـريّـيـنـا؟
مـا كـان خـطـبُكَ إلا أمّـةً درجتْ
وقـد يـعـادل شـعـرٌ أمّـةً فـيـنـا

☆☆☆☆☆

هـذي أمـيّـةُ لم تـهـدأ وسـاوسُـنـا
عـلـى دمـشقَ ولـم تـنـشف مـآقـيـنـا

✱✱✱✱

شمس الدين الكوفي

ملابس الصبر

ملابسُ الصبرِ نُبليها وتُبلينا
ومدّةُ الهجرِ نَفنيها وتُفنينا
شوقاً إلى أوجهٍ متنا بفرقتها
حزناً وكانت تُحيّينا فتُحيينا
أحزانُنا بهمُ لا تنقضي ولنا
شوقٌ إلى ساكني يبرينَ يبرينا
يا دهرُ قد مسّنا من بعدهم حُرَقٌ
من الفراق إلى التكفين تكفينا
وعدتَنا بالتلاقي ثم تُخلفنا
فكم نرى منكَ تلويناً وتلوينا
ديارُهم دُرستْ من بعد ما دَرستْ
نفسي بها من تَلاقينا تُلاقينا
مُتّعتُ فيها إلى حينٍ فوا أسفًا
إذ عشتُ حتى رأيتُ الحينَ والحينا
كنّا جميعاً وكان الدهرُ يُسعدنا
والكائناتُ بكأس الأمنِ تَسقينا

- محمود بن أحمد بن عبدالله بن داود بن محمد بن علي الهاشمي.
- أديب فاضل عالم شاعر.
- ولد عام ٦٢٣هـ وتوفي عام ٦٧٥هـ.
- شهد سقوط بغداد على يد هولاكو، وقال قصيدة يذكر فيها خرابها وقتل الخليفة العباسي فيها.
- انظر ترجمته في فوات الوفيات ١٠٢/٤، وهذه القصيدة في الصفحة نفسها.

فــالآنَ قَــرّتْ عــيــونُ الحــاســدين بــنــا
بمــا جــرى واشــتــفتْ مــنّــا أعــاديــنــا
فـصــار يــرحــمــنــا من كــان يــأمــلــنــا
وعــاد يُــبــعــدنــا من كــان يُــدنــيــنــا
وبــات يــخــذلــنــا من كــان يَــنــصــرنــا
وصــار يُــرخــصــنــا من كــان يُــغــلــيــنــا
والــيــومَ ألــطفُ كلّ الــعــالمــين بــنــا
مَنْ عن أحــبّــتــنــا أضــحى يُــعــزّيــنــا
لــيت الــعــذولُ يــرى من فــيه يــعــذلــنــا
لــعــله إذ يــرى عــيــنــاً يُــراعــيــنــا
إلى مــتــى نــحــمل الــبــلــوى وعــاذلُــنــا
بــغــيــر مــا هــو يَــعــنــيــنــا يُــعنِّــيــنــا
مــا ضــرَّ عُــذّالــنــا لــو أنــهم رفــقــوا
فــعــذلُــهم لــيس يَــســلــيــنــا ويُــســلــيــنــا
حــمــائمُ الــدوحِ في الأغــصــان نــائــحــةٌ
كــمــا تــنــوح فــنــحــكــيــهــا وتحــكــيــنــا
تــشــجــو وتــنــدب من شــوقٍ لمن فــقــدتْ
من فــقــدنــا فــنُــشــجّــيــهــا وتُــشــجــيــنــا
قــد نــسّــرتْ يــا أحــبّــانــا جــرائــحَــنــا
ومــا لــنــا غــيــرُ لــقــيــاكم يُــداويــنــا
أمــراضُــنــا من كلام الــشــامــتــين بــنــا
فــهل زمــانٌ يُــشــقّــيــنــا ويَــشــفــيــنــا؟
إنــا عــطــاشٌ إلى أخــبــاركم فــمــتى
يــأتي رســولٌ يُــروّيــنــا ويَــرويــنــا
بــنــا إلى عــزّكم فــقــرٌ ومــســكــنــةٌ
فــهل بــشــيــرٌ يُــغــنّــيــنــا فــيُــغــنــيــنــا

****

شهاب الدين الخلوف

كيف المفر

كـيف الـمـفـرُّ وقـد وافى تــقــاصـيــنــا
وخـصـمُـنـا في دعـاوي الحبّ قـاضـيـنـا

يـقـضي عـلـيـنـا فـنقضي بـالجـوى أسـفاً
شـتّـانَ مـا بـين قـاضـيـكم وقـاضـيـنـا

إنـا إلى الـلـه كم نـقـضي الـنـفـوسَ إلى
أشـراك تـهـلـكـةٍ طـوعـاً بـأيـديـنـا

وكم تـشبّ بـنـيـرانٍ جـوانـحُـنـا
كـمـا تـفـيض بـطـوفـانٍ مـآقـيـنـا

وكم يـعـنّـفـنـا في الحبّ حـاسـدُنـا
كـمـا يـهـدّدنـا بـالـبـين واشـيـنـا

في كـعـبـة الحبّ أو في شـوق مـعـلـمـةٍ
نـحـن المـصـلّـون أم نـحـن المـزكّـونـا

وفي لُـيـيـلاه أو في ربع مـعـهـدهِ
نـحن المحـبّـون أم نـحن المجـانـيـنـا

– أحمد بن محمد بن عبدالرحمن، شهاب الدين، الخلّوف.

– ولد عام ٨٢٩ وتوفي عام ٨٩٩هـ.

– شاعر تونسي، أصله من فاس، ومولده بقسنطينة، وشهرته ووفاته بتونس.

– له عدد من المؤلفات. وله ديوان شعر، عنوانه «جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين» المعروف بديوان الإسلام. وللدكتور العربي دحّو دراسة بعنوان «ابن الخلوف وديوانه جنى الجنتين»، ديوان المطبوعات الجامعية، ١٩٩٣، الجزائر. انظر: الأعلام ٢٣١/١.

لا يُـعـلَم الـصـبـرُ الا من تَـثـبّـتـنـا
ويـثـبت الـوجـدُ إلا من مَـعـانـيـنـا
ولا يُـضي الـصـبحُ إلا من تَـواصـلـنـا
ويُـظـلم الـلـيلُ إلا من تَـجـافـيـنـا
ولـيس يُـطـمَع إلا في صـبـابـتـنـا
ويُـقـطَع الـيـأسُ إلا من تَـسـلّـيـنـا
صُـفْـرٌ جـوارحُـنـا حُـمْـرٌ مَـدامـعُـنـا
سُـودٌ جـوانـحُـنـا بِـيضٌ مَـواضـيـنـا
يـكـاد قـارئـنـا آيَ الـصـبـابـةِ أنْ
يُـلـقي إلى الـصلـد آيَ الـوجـدِ تـلـقـيـنـا
ويـقـتـضي الـوجـدُ أن يـغـتـال أنـفسَنـا
آيُ الجـوى والأسى لـولا تـأسّـيـنـا

****

صفي الدين الحلي

الزمان يُمنّينا

كان الزمانُ بلقياكم يُمنّينا،
وحادثُ الدهرِ بالتفريق يَثنينا
فعندما صدقتْ فيكم أمانينا،
أضحى التنائي بديلاً من تدانينا
وناب عن طيب لقيانا تجافينا
خلنا الزمانَ بلقياكم يسامحنا
لكي تُزانَ بذكراكم مدائحُنا
فعندما سمحتْ فيكم قرائحُنا
بنتم وبنّا فما ابتلّتْ جوانحُنا
شوقاً إليكم ولا جفّتْ مآقينا
لم يُرضنا أن دعا بالبين طائرُنا،
شقُّ الجيوبِ، وما شُقَّتْ مرائرنا
يا غائبين ومأواهم سرائرُنا،
تكاد حين تُناجيكم ضمائرنا
يقضي علينا الأسى لولا تأسّينا

– صفي الدين، أبو المحاسن، عبدالعزيز بن سرايا بن علي بن أبي القاسم.. الطائي الحلي.
– ولد سنة ٦٧٧هـ بمدينة الحلة وتوفي ببغداد سنة ٧٥٠هـ.
– رحل الشاعر منتجعاً بالتجارة من جهة وبعطاء الملوك من جهة أخرى، حيث إنه مدح ملوك ماردين من الأرتقيين الذين أشار إليهم في قصائده، ومدح الملك المؤيد صاحب حماه الذي قال فيه قصيدة الرثاء هذه.
– انظر ديوان صفي الدين الحلي (٣٠٥ – ٣٠٩) بشرح وضبط د. عمر فاروق الطباع، دار الأرقم، وتمام المتون (١٣) للصفدي، وتاريخ الأدب العربي «العصر المملوكي»، د. عمر موسى باشا (٢٧٥ – ٣٤١) دار الفكر بدمشق، ط

حـمـدتُ أيـامَ أنسٍ لي بـكم سـعـدتْ
وأسـعـدتْ إذ وفتْ فـيـكم بمـا وعـدتْ
فـالـيـومَ إذ غـبـتمُ، والـدارُ قد بـعـدتْ،
حـالت لـفـقـدكمُ أيـامُـنـا فـغـدتْ
سُوداً، وكـانت بـكم بِـيضـاً لـيالـيـنـا
فُـزنـا بـنـيل الأمـاني من تَـشـرُّفـنـا
بـقـربـكم، إذ بُـريـنـا من تَـكـلّـفـنـا
حـتى كـأن الـلـيـالي في تَـصـرّفـنـا
إذ جـانبُ الـعـيشِ طـلقٌ من تـألُّـفـنـا
ومـوردُ الـلـهـوِ صـافٍ من تـصـافـيـنـا
كم قـد وردنـا مـيـاهَ الـعـزّ صـافـيـةً،
وكم عـلـلـنـا بـهـا الأرواحَ ثـانـيـةً
إذ عـيـنُـهـا لـم تـكن بـالمنّ آنـيـةً
وإذ هـصـرنـا غـصـونَ الأنسِ دانـيـةً
قـطـوفُـهـا، فـجـنـيـنـا مـنه مـا شِـيـنـا
يـا سـادةً كـان مـغـنـاهم لـنـا حـرمـا،
وكـان ربعُ حِـمـاهُ لـلـنـزيل حِـمى
كم قـد سـقـيـتم مـيـاهَ الجـودِ ربَّ ظـمـا
لـيُـسْقَ عـهـدُكمُ عـهـدُ الـغـمـامِ فـمـا
كـنـتم لأرواحـنـا إلا ريـاحـيـنـا
هل يـعـلـم المـسـكـرونـا من سـمـاحـهمُ
بـرشف راح الـنـدى من كـأس راحـهمُ
أنـا لـبـسـنـا الـضـنـا بـعـد الـتـمـاحـهمُ
من مـبـلغُ المـلـبـسـيـنـا بـانـتـزاحـهمُ
ثـوبـاً من الحـزن لا يَـبـلى ويُـبـلـيـنـا
إذا ذكـرنـا زمـانـاً كـان يُـدركـنـا
بـالـقرب مـنـكم، وفي الـلـذّات يُـشـركـنـا

لا نملك الدمعَ والأحزانُ تملكنا
إن الزمان الذي قد كان يُضحكنا
آنساً بقربكمُ قد صار يُبكينا
نعى المؤيَّدَ قومٌ لو دروا ووعوا
أيَّ الملوكِ إلى أيّ الكرام نَعَوْا
أظنّه، إذ سقانا الودَّ حين سعوا،
غيظ العدى من تساقينا الهوى فدعوا
بأنْ نغصَّ، فقال الدهرُ آمينا
لما رأوا ما قضينا من مَجالسنا،
وسبطَ أنسٍ رأينا من مُجالسنا
دعوا لنُفجعَ في الدنيا بأنفسنا
فانحلَّ ما كان معقوداً بأنفسنا
وانبتَّ ما كان موصولاً بأيدينا
أين الذين عهدنا الجودَ يُوثقُنا
في ربعهم، ولهم بالشكر يُنطقنا
وكان فيهم بهم منهم تأنُّقنا
وقد نكون وما يُخشى تَفرُّقنا
فاليومَ نحن، وما يُرجى تلاقينا
يا غائبين، ولا تخلو خواطرُنا
من شخصكم وإنِ اشتاقتْ نواظرُنا
والله لا ينقضي فيكم تَفكُّرنا
لا تحسبوا نأيَكم عنّا يُغيّرنا
إنْ طال ما غيَّرَ النأيُ المحبّينا
إنا، وإن زادنا تفريقُنا غُلَلا
إلى اللقا، وكسانا بُعْدُكم عِلَلا
لم ندعُ غيرَكمُ سُؤْلاً، ولا أملا
واللهِ ما طلبتْ أرواحُنا بدلا
منكم، ولا انصرفتْ عنكم أمانينا

إذا ذكـرتُ حـمى الـعـاصي ومـلـعـبه،
والـقـصـرَ والـقـبّـةَ الـعُـلـيـا بمـرقـبهِ
أقـول، والـبـرقُ سـارٍ في تَـلـهُّـبهِ
يا ساريَ الـبـرقِ غـادِ الـقـصـرَ فاسقِ بهِ
من كان صرفَ الـهوى والـودّ يـسـقـيـنـا
يـا غـاديَ المـزنِ إن وافـيتَ حِـلّـتَـنـا
عـلى حماةَ، فجُـدْ فـيـهـا مَـحـلَّـتَـنـا
واقـرَ الـسلامَ بـهـا عـنـا أحـبَّـتَـنـا
ويـا نـسـيمَ الـصَّـبـا بَـلِّغْ تحـيّـتَـنـا
من لـو على البعد مُتنا كان يُحـيـينا
سـلـطـانُ عـصـرٍ إلهُ الـعـرشِ بَـوّأهُ
من المـعـالي، ولـلـخـيـرات هَـيّـأهُ
بـراه زَيـنـاً، وممّـا شـانَ بَـرَّأه،
ربـيـبُ مُـلْكٍ كـأنّ الـلهَ أنـشـأه
مِـسْـكـاً، وقَـدَّرَ إنـشـاءَ الـورى طِـيـنـا
نـحن الـفـداءُ لمن أبـقى لـنـا خَـلَـفـا،
من ذكـره، وإن ازددنـا بـه أسـفـا
وإن نـكن دون أن يُـفـدى بـنـا أنـفـا،
مـا ضـرَّ إن لم نـكن أكـفـاءَه شـرفـا
وفي المـودة كـافٍ من تـكـافـيـنـا
يـا من يـرى مـغـنـمَ الأمـوالِ مـغـرمـةً
إن لم يُـفِـدْ طـالـبي جـدواه مـكـرمـةً
إنـا، وإن حُـزتَ ألـقـابـاً مـكـرَّمـةً،
لـسـنـا نُـسـمّـيكَ إجلالاً وتـكـرمـةً
وقـدرُكَ المـعـتـلي عن ذاك يُـغـنـيـنـا
كم قـد وُصِـفتَ بـأوصـافٍ مُـشـرِّفـةٍ،
في خطّ ذي قـلـمٍ أو نُـطق ذي شـفـةٍ

فـقـد عـرفـنـاكَ مـنـهـا أيَّ مـعـرفـةٍ
إذا انـفـردتَ ومـا شُـوركت في صـفـةٍ
فحسبُنا الوصفُ إيضاحاً وتَبيينا
خـلّـفتَ بـعـدكَ لـلـدنـيـا وآمـلِـهـا
نُـجْلاً يـسـرّ الـبـرايـا في تـأمُّـلـهـا
فـلم تـقل عـنكَ نـفسٌ في تـمـلـمـلـهـا
يـا جـنّـةَ الخُـلـدِ أُبـدلـنـا بـسـلـسـلـهـا
والـكـوثـرِ الـعـذبِ زَقّـومـاً وغِـسـلـيـنـا
كم خـلـوةٍ هـزّنـا لـلـبـحث بـاعـثُـنـا
فـلـيس يُـؤنـسـنـا إلا مـبـاحـثُـنـا
فـالـيـومَ أُخـرِسَ بـالـتـفـريق نـافـثُـنـا
كـأنـنـا لـم نـبتْ، والـوصلُ ثـالـثـنـا
والـدهـرُ قـد غضَّ من أجـفـان واشـيـنـا
ولـيـلـةٍ قـد حَلا فـيـهـا تَـنـادمُـنـا
والـعـزُّ يـكـنـفـنـا، والـسـعـدُ يـقـدمـنـا
ونـحن في خـلـوةٍ، والـدهـرُ يـخـدمـنـا
سِرّينِ في خـاطـر الـظـلـمـاءِ يـكـتـمـنـا
حـتى يـكـادَ لـسـانُ الـصـبـحِ يُـفـشـيـنـا
لـلّه كم قـد قـضـيـنـا مـنـكمُ وطـرا،
قـد كـان عـيـنـاً فـأمـسى بـعـدكم خـبـرا
لا تـعـجـبـوا إنْ جـعـلـنـا ذكـرَكم سَـمَـرا،
إنـا قـرأنـا الأسى يـومَ الـنـوى سُـوَرا
مَـتـلـوّةً، واتّـخـذنـا الـصـبـرَ تـلـقـيـنـا
كم من حـبـيـبٍ عـدلـنـا مَعْ تَـرحّـلـه،
إلا سـواه، فـأغـنى عن تَـأمّـلـهِ

وصـــعبِ وِردٍ عـــدلـــنـــاه بـــأســـهـــلهِ
أمّـــا هـــواكَ، فـــلـم يـــعـــدل بمـــنـــهـــلهِ
شـُرْبـاً وإن كـان يَـرويـنـا، فـيُـظـمـيـنـا
تـشـكـو إلـى الـلـه نـفسٌ بـعضَ مـا لـقـيتْ
غِبَّ الـنـعـيمِ الـذي من بـعـده شَـقـيتْ
فـيـا سـحـابـاً به كلُّ الـورى سُـقـيتْ
عـلـيكَ مـنّي سلامُ الـلـهِ مـا بـقـيتْ
صـبـابـةٌ مـنكَ نُـخـفـيـهـا وتُـخـفـيـنـا

****

صلاح بن هندي

ابن زيدون في ثوبه القشيب

«أبـا الـولـيـدِ» زمـانُ الـشِّـعـرِ يُـدنـيـنـا
والـدهـرُ في سـيـره مـا زال يُـقـصـيـنـا
لــو أنَّ «ولاّدةَ» الأحــزانِ تــقــصــدني
أجـبـتُـهـا عنكَ فـاسـمعْ يـا «ابنَ زيـدونـا»
إلـيكِ عـنِّي ... فـلـيس الـدمعُ يُـغـريـنـا
إلــيكِ عــنّي فلا عــادت لــيــالــيــنــا
إنَّ الــزمــانَ الــذي بــالأمس أســعــدنــا
غـدا زمـانـاً مع الـتـذكـارِ يُـشـقـيـنـا
إنَّــا لــنــذكــر أيَّــامــاً لــنــا ســلــفتْ
كــان الــفـراقُ بــهــا أعـدى أعــاديـنـا
بــهــا شــربــنــا كــؤوسَ الــودِّ مُــتــرعــةً
فـمـا رويـنـا فـحَـرُّ الـشَّـوق يُـظـمـيـنـا
كــنــتم زلالاً بــكــأس الــودِّ نــشــربُه
والـيـومَ صِرتم غَـصَـاصـاً في تـراقـيـنـا
بـالأمسِ كـنّـا وثـغـرُ الحبِّ يمـدحـنـا
والـيـومَ هـذي دمـوعُ الحبّ تَـرثـيـنـا
كـنتِ الـنـعـيمَ لـنـا في أمـسـنـا فـغـدا
ذاك الـنـعـيمُ جـحـيـمـاً راح يُـصـلـيـنـا

– شاعر سعودي ولد في الأحساء.

– له ديوان شعر (على استحياء).

ولاّدةَ الـــهمِّ والإعـــيـــاء.. مـــا بَـــرحَتْ
أسـيـافُ غـدْرِكِ تَـعْـثُـو في حَـواشـيـنـا
فـهل نـسـيتِ جـراحـاً كـنتِ مُـدْيَـتَـهـا؟
فـإن نـسـيتِ فـمـا نـحن بـنـاسـيـنـا
فــرُبَّ جُـــرْحٍ تـــولّى بـــعـــد ســطـــوته
لـكنَّ جُـرحَكِ قـد أعـيـا المـداويـنـا
أضـحتْ دمـوعي مِـداداً صـار يـرشـفـهـا
يـراعُ شـعـري فـيُـذري الـدمعَ تـأبـيـنـا
مـاذا أقـول وشـعـري فـيكِ قـد حُـفِـظَتْ
مـنه الـقـوافي وغـنّـاه المـغـنُّـونـا
يـا لـيت قومي غـداةَ الـبـينِ مـا سـمعوا:
«أضـحى الـتـنـائي بـديلاً من تـدانـيـنـا»
ولا هـتـفتُ بـأعـلى الـصـوت من أسفٍ:
«ونـابَ عن طـيب لـقُـيـانـا تجـافـيـنـا»
ولادةَ الـــهمِّ عُـــودي لـــستِ لي أملاً
وكـفـكـفي الـدمعَ مـا عُـدْنـا مُـحـبّـيـنـا

****

الأمير الصنعاني

الدهر بالتشتيت يرمينا

حتى مَ ذا الدهرُ بالتشتيت يرمينا
وكم بكاسات هذا البينِ يسقينا
ما للفراق وما لي لا يفارقني
إن الفراق غريمُ للمحبّينا
فارقتُكم وفؤادي لا يفارقكم
فإن رحلتُ فإني في المقيمينا
أستودع اللهَ قلباً في دياركمُ
بحبّكم صار مرهوناً ومفتونا
أُفحمتُ عن كل شيءٍ غيرَ ذكركمُ
ونفّرَ النومَ دمعٌ من أماقينا
فما رويتُ سوى أخبار فضلكمُ
ولا تلوتُ سوى قولِ ابنِ زيدونا
«إن الزمان الذي قد كان يُضحكنا
أُنساً بقربكمُ قد عاد يُبكينا»
«حالت لبعدكمُ أيّامُنا فغدتْ
سُوداً وكانت بكم بِيضاً ليالينا»

- محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسيني الصنعاني.
- ولد بمدينة كحلان سنة ١٠٩٩هـ وتوفي بصنعاء سنة ١١٨٢هـ.
- له كتب كثيرة في مصطلح الحديث وغيره.
- من بيت الإمامة باليمن.
- له ديوان شعر مطبوع على نفقة الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني، بتقديم وإشراف علي السيد صبح المدني، مطبعة

«غِيظَ العدا من تساقينا اللقا فدعوا
بأن نغصَّ فقال الدهرُ آمينا»
عسى عسى أن يُقيلَ الدهرُ عثرتَنا
فكم أقال فتًى قد صار مفتونا
سقى وحيّا الحيا أيامَ قربكمُ
فهي الحياةُ سواها ليس يُحيينا
لله ذاتُكَ ما أصفى خلائقَها
كأنها صدفٌ بالدرّ مَشحونا
ما أنتَ إلا جمالٌ للوجود فلا
زالت معاليكَ للعلياء تزيينا
ولا برحتَ قريرَ العينِ في دعةٍ
وزادكَ اللهُ تبجيلاً وتمكينا
ما لذَّ لي بعدكم شخصٌ أصادقهُ
ففي زوايا خمولي صرتُ مدفونا
أقمتُ عندكَ في ربع السرورِ على
نعماءَ تُنسي بنعما آلِ حمدونا
عليكَ مني سلامٌ غيرُ منقطعٍ
يُهدى إلى سوحكَ الميمونِ ميمونا

****

أهلاً بها

أهلاً بــهــا فــلــقــد وافتْ عــلــى ظــمــإٍ
تــروي أحــاديثَ من نــهــوى فــتَــرويــنــا
لـقـد أعـادت لـنـا عـصـرَ الـشـبـابِ وقد
شـبّتْ لــهــيبَ غــرامٍ في نــواحــيــنــا
وأذكــرتْــنــا ولا والـــلـهِ مــا نــســيتْ
قــلــوبُــنــا طــولَ وصلٍ لــلــمــحــبّــيــنــا
إذا الــشــبــابُ شــفــيعٌ لا يَــردّ يَــرى
عــنــد الــغــواني له حُــكــمــاً وتــمــكــيــنــا
فـوصلُ من شـئتَ مـنـهـا غـيـرُ ممـتـنعٍ
«ومــوردُ الــلــهــوِ صــافٍ من تــصــافــيــنــا»
مــلــيــكــةُ الــحــسنِ زارتــني وقــد غــفــلتْ
عــينُ الــرقــيبِ ونــامت عــينُ واشــيــنــا
وخــالــفتْ عــذلَ عُــذّالٍ ومــا تــبــعتْ
عــنــد الملامــةِ أقــوالاً لــقــالــيــنــا
يــا لــيــلــةَ الــوصلِ هلاّ عــدتِ ثــانــيــةً
ســقى زمــانَكِ دمعٌ من أمــاقــيــنــا
فــمــا وفى غــيــرُ دمــعي بــعــدَ بُــعــدِكمُ
ولا شــفى غــيــرُ امــانيٍّ تُــمــنّــيــنــا
بــأن عــصــرَ الــتلاقي قــد دنــا ولــقــد
نــادى بــبُــشــرى تَلاقــيــنــا مُــنــاديــنــا
وأنــشــدتــنــا لــســانُ الــبــشــرِ قــائــلــةً
«أضــحى الــتــداني بــديلاً من تــنــائــيــنــا»

يـا حـبّـذا تـلـكمُ الـبـشـرى فـقـد عـكـستْ
عــنــد الــبــشــارةِ مــا قــال ابنُ زيــدونــا
لا تـنـقـضـوا عـهـدَ ودٍّ بَـعْـدَ بُـعْـدِ فـتًى
ولا تـظـنّـوا بـأن الـبـينَ يُـنـسـيـنـا
«لم نـعـتـقـد بـعـدَكم إلا الـوفـاءَ لـكم
رأيًـا ولـم نـتـقـلّـدْ غـيـرَه ديـنـا»
هل تـذكـرونـا كـذكـرانـا لـكم فـعـسى
ذكـرى تُـقـرّب دارًا لـلـمـحـبّـيـنـا
والـبـينُ ذا أذهلَ الألـبـابَ دائـمـةً
فـاللهُ بـالـوصل يَـشـفـيـكم ويـشـفـيـنـا
والـلـهُ يـقـطـع عـنـقَ الـبـينِ عن كـثبٍ
بـطـيب وصلٍ فـقلْ بـالـلـه آمـيـنـا

****

عبدالحميد الرافعي

جنيت من خدها

جـنـيت من خـدهـا ورداً ونـسـريـنـا
ومن مـراشـفـهـا شَـهْـداً وزرجـونـا
غـداةَ زارت بـلا وعـدٍ ولا أمـلٍ
يـومـاً لـقـد كـان عـيـدُ الـدهـرِ مـيـمـونـا
صـافـحـتُـهـا فـرأتْ يمـنـايَ راجـفـةً
والـوجـدُ أظـهـرَ في وجـهي تـلاويـنـا
ورمتْ رمّـانـتَـيْـهـا فـانـثـنتْ غـضـبـاً
وقـطّـبتْ حـاجـبـاً كـالـنـون مَـقـرونـا
فـنـبّـهـتـني لـحـفظ الحبّ من دنسٍ
وذكّـرتـنيَ عـهـداً قطُّ مـا شِـيـنـا
لـكنْ أضلَّ رشـادي سـحـرُ مـقـلـتـهـا
يـا ربِّ ثَـبّتْ عـلـيّ الـعـقلَ والـديـنـا
أفـدي عـفـافـاً تحـلّـتْه شـمـائـلُـهـا
صـان الجـمـالَ وزاد الحـسنَ تحـسـيـنـا
هـيـفـاءُ يـحـسـد بـدرُ الـتمِّ طـلـعـتَـهـا
ويـعشق الـغـصنُ من أعـطـافـهـا الـلّـيـنـا

– عبدالحميد بن الشيخ عبدالغني الرافعي.
– ولد بطرابلس الشام سنة ١٢٧٥هـ، وتوفي سنة ١٣٥٠هـ/ ١٩٣٢م.
– تعلم في الأزهر الشريف، وتقلد مناصب في أثناء العهد العثماني.
– شاعر مكثر، اتصل بالشيخ أبي الهدى الصيادي.
– له عدد من المؤلفات الإبداعية، معظمها شعري.

رخـيـمـةُ الـدلِّ كـحلاءُ الجـفـونِ حـوتْ
مـلكَ الجـمـالِ وزادت فـيه تـمـكـيـنـا
يـحـار في وصـفـهـا فـكـري ولا عـجبٌ
أنْ حـيّـرتْ بمـعـانـيـهـا المحـبّـيـنـا
إن قـلتُ حـوريّـةٌ أبـدتْ لـواحـظَـهـا
معنًى من الـغـنج يـسبي الخُـرَّدَ الـعِـينا
أو قـلتُ بـدرٌ رأيتُ الـبـدرَ ذا كـلفٍ
خـلف الـسـرارِ وبـالـنـقـصـان مَـرهـونـا
أو قـلتُ دُرّةُ غـوّاصٍ فـمَـبـسـمُـهـا
مـا زال يُـخـجِل عِـقْـدَ الـدرِّ مـكـنـونـا
لـكـنـهـا فـتـنـةٌ لـلـنـاس مُـرسـلَـةٌ
تـبـلـو الـشـجيَّ وتـسـتـهـوي الخـليّـينـا
حـتى مـتى يـا فـؤادي أنتَ مـنـعـكفٌ
عـلى الـهـوى لا تـزال الـدهـرَ مـفـتـونـا
هـو الـغـرام فـسلْ عـنه مـعـانـيَه
كم ذا تَـعـنّى وذاق الـذلَّ والـهُـونـا
كـثـيـرُ عـزّةَ غـال الحبُّ عـزّتَه
وقـيسُ لـيـلى دعـاه الـنـاسُ مَـجـنـونـا
فـخلِّ عـنكَ الـتـصـابي واتّـئـدْ فـلـقـد
لاح المـشـيبُ يُـجـلّي فـوديَ الجُـونـا
واسـتـغـفـرِ الـلـهَ ممـا قـد ولـعتَ بهِ
أيـامَ كـان الـصِّـبـا يـا قـلبُ يُـغـريـنـا

****

عبدالرحمن صدقي

وقفة على غزة

يا أرضَ غزّةَ وافَيْنا مُحيّينا
نستاف عن كَثَبٍ ريّا فِلسطينا
ريّا الحقولِ التي كانت مدارجَنا
وفي دساكرها بتنا لياليَنا
جئناكِ ننسم ريّاها، وغاصبُها
يجني جَناها ويُقصي عنه أهلينا
فيا لها نسمةً تُذكي بأضلعنا
ناراً سيَصلى بها يوماً أعادينا
وما فلسطينُ إلا جنّةٌ غُصِبتْ
أعدتْ عليها شياطينٌ شياطينا
فأخرجوا أهلَها من عُقر دورهمُ
وشرّدوهم فلاقوا الجوعَ والهُونا
وأسلموهم إلى الأوباء تُوبئهم
جسمًا، وتُزهق أرواحاً مَياميناً
حتى الرضيعُ غدا لا ظئرَ تُرضِعه
لقد غدا دارُها مُهْلاً وغِسلينا

– ولد الشاعر في «المنصورة» عام ١٩٨٦ وتوفي عام ١٩٧٣م.
– لم يكمل تعليمه الجامعي.
– عمل في وزارة المعارف، ثم مشرفاً على دار الأوبرا.
– صدر عنه ديوانان: «من وحي المرأة» و«حوّاء والشاعر».
– قصيدته هذه ألقاها في مهرجان الشعر العربي الرابع عام ١٩٦٣.

لولا الخيانةُ ما اعتاضوا بجنّتهم
رثَّ الخيامِ بأرجاء الفلا جُونا
في جوفها الخلقُ أكداساً مُكدَّسةً
كالقبر ضَمَّ لمدفونٍ مَدافينا
هي القبورُ بلا صمتٍ ولا دعةٍ
قد عزَّ ذلك أهليها المساكينا
ضجّوا هنا من خيام الذلّ من غضبٍ
ومن سقامٍ يمضّ الشّيبَ والعُونا
فاسمعْ لأصدائهم في قبر خيمتهم
تُفجعْكَ باللحن مكبوتاً ومجنونا
يا أرضَ غزّةَ أنتِ اليومَ نادينا
وقد أتيناكِ نستوحي، فأمْلينا
وكيف يُعييكِ وحيٌ بات يُعيينا
وأنت أقربُ داراً للنبيّينا
أهلوكِ كلُّهم قسٌّ بنُ ساعدةٍ
وكلُّهم في القوافي إبنُ زيدونا
وهم غزاةٌ إليهم غزّةُ انتسبتْ
نعمَ الغزاةُ إذا نُودوا يُلبّونا
لو كان لي في مجال القولِ متّسعٌ
يا أرضَ غزّةَ أنشدتُ الأفانينا
وقلتُ في البحر لا يهدا له زجلٌ
قولاً يحاكيه توقيعًا وتلحينا
وقمتُ للريف أستجلي محاسنَه
أزيد في حسنها بالشعر تحسينا
ولم يفتنيَ تشبيبٌ ولا غزلٌ
سِيّانَ كانت ظباءً أو رياحينا

لـكـنـه مـوقفٌ لـلــشـعــر مــحــتـشـدٌ
مـجـلـجلُ الـصـوت لا هـزلاً ولا لِـيـنـا
والــشـعـرُ مـا زال فنُّ الـعُـرْبِ من قِـدمٍ
يـضـمّـنـا حـول نـاديه ويـحـدونـا
مُـسـتـضـرِمـاً بـقـوافـيه جـوانـحَـنـا
كـأنمـا فُـجِّـرتْ مـنـهـا الـبـراكـيـنـا
يـا غـزّةً نـفـذتْ في جـنـب صـهـيـونـا
لا زلتِ في جـنـبه رُمـحـاً وإسـفـيـنـا
لا زلتِ مـعـبـرَنـا يـومَ الجـهـادِ إلى
أرضٍ لـيـعـربَ أضـحى حـبُّـهـا دِيـنـا
أغـدو وأُمـسي وصـوتٌ مـنكِ في خَـلَـدي
يـصمّ سـمـعيَ عن طـيـرٍ تُـنـاغـيـنـا
يـا بـضـعـةً من فـلـسـطـينٍ تـنـاديـنـا
«ردّوا عـلى أهـلـهـا بـاقي فـلـسـطـيـنـا»
لـبّـيكِ إنـا أتـيـنـا الـيـومَ في نـفـرٍ
وفي غـدٍ لـلـوغى نـأتي ملايـيـنـا
لا بـدَّ من وثـبـةٍ كـبـرى فـنـرجـعـهـا
مـا أرجـعـوهـا سُـدًى أبـطـالُ حِـطّـيـنـا
كـذاك يـسـتـدرك الـتـاريخُ غـلـطـتَه
فـذي فـلـسـطـينُ قـد عـادت فـلـسـطـيـنـا
من الخـلـيج إلى الـبـحـر المحـيط صدًى
يـضجّ في ثـقـةٍ: آمـينَ، آمـيـنـا

****

عبدالرزاق حسين

إلى غِرِّيد الأندلس

ما زال شعرُكَ رَغمَ البعدِ يُشجينا
نصبو إليه فيَسبينا ويُصْبينا
إليكَ غرِّيدَها ترنو نواظرُنا
تهفو مسامعُنا تسمو أمانينا
نشدو قصائدَك الثَّكْلى نُردِّدُها
ترديدَ والهةٍ تبكي فتُبكينا
وودُّك المحضُ في الأعماق أغنيةٌ
لم ننسَ يوماً (ولا جفَّتْ مآقينا)
إنا رأيناكَ والأبوابُ موصَدةٌ
والبعدُ يفصلُنا والشجوُ يُدنينا
تهفو لقرطبةَ الغرّاءِ تذكرُها
تُهدي لها الشِّعرَ ريحاناً ونِسْرينا
ترجو اللقاءَ بمن كانت لكم أملاً
لكنْ عدَتْكُمْ كما تعدو عوادينا

– الدكتور عبد الرزاق الحاج عبدالرحيم حسين.
– ولد عام ١٩٤٩ في القدس.
– درس في نابلس وعمان ١٩٦٨، وحصل على الليسانس ١٩٧٢، والماجستير ١٩٧٥، والدكتوراه من كلية اللغةالعربية بالقاهرة ١٩٨١.
– دواوينه الشعرية : له مجموعات شعرية للأطفال هي : معاً إلى القدس ١٩٨٨ – أغاني الحروف ١٩٩٢ – أعطر السير ١٩٩٢.
– مؤلفاته : منها : التنازع على الشعراء في الخليج والجزيرة – علقمة بن عبدة الفحل – شعر الخوارج –الأدب العربي في صقلية – الإسلام والطفل. إلى جانب عدد من أعمال التحقيق مثل: الأمثال والحكم للرازي – غريب القرآن لابن اليزيدي – ديوان ابن سنان الخفاجي.

فـمـزَّقَ الـدهـرُ شـملاً كـان مـلـتـئـمـاً
وفــرَّق الــدهــرُ أُلاَّفــاً مُــحــبِّــيــنــا
لامـوكَ في حـبّـهـا ظُـلـمـاً فـلـم يَـدَعـوا
زوراً وإفـكـاً وتــضـلـيـلاً وتـلـويـنـا
قـالـوا عـشـقتَ وهل في الـعـشق من حـرَجٍ
ولادةُ المجـدِ كم أهــدتْ مَــيــامــيــنــا
من قـائـد الـفـتـحِ والمـيـمـونِ طـائـرُهُ
مـوسى الـنُّـصَـيْـرِ له نُـهـدي قـوافـيـنـا
وطــارقِ الخــيــرِ تــشــدو في أعــنّــتـهِ
مـواكبُ الـنـصـرِ تـطـريـبـاً وتـلـحـيـنـا
والـدَّاخلِ الـصَّـقْـرِ والـربْـضيّ يـتـبـعُهُ
والـنــاصـرِ الـفـذِّ من أفـذاذ مـاضـيـنـا
مُـجـاهـدُ الـبـحـرِ والجلاَّبُ أيمَـنُـهم
أُسـدٌ غـطـارِفَـةٌ كـانـوا شَـواهـيـنـا
ولاّدةٌ أنتِ يــا أرضَ الــفــتــوحِ بــهــا
قد هـام عشـقـاً فـكَنّى عـنكِ تَـضْـمـيـنـا
يـا شـاديَ المجـدِ قـد كـلَّتْ نـواظـرُنـا
والأذنُ صـمَّـاءُ والإحـسـاسُ نـاسـيـنـا
يـا شـاديَ المجـدِ قـد عـادتْ أمـانـيـنـا
صُـفْرَ الـيـدين وقـد خـاب الـرَّجـا فـيـنـا
قـصـائـدُ الـفـقْـدِ يـا غـرِّيـدُ مـركـبُـنـا
تــهـوي به الـريحُ والمجـدافُ نـاعـيـنـا
صـار الـضـيـاعُ لـنـا مـجـداً نـؤَثِّـلُهُ
يـلـقـاهُ نـاشـئـنـا حِـفـظاً وتـلـقـيـنـا
ركنُ الجـهـادِ غـدا ركـنـاً لـسـائـحـةٍ
والـسّيفُ يُـوضَع تَـجْـمـيلاً وتـزيـيـنـا

أمّا الخيولُ فللميدان نَعْلِفُها
ميدانِ سَبْقٍ به (الجُوكاتُ) ترجُونا
إنا سلونا عن الأمجاد من زمنٍ
فيه يُطَأطئ للأعداءِ عالينا
قد اعتقدْنا النظامَ العالميَّ لنا
حُكماً ولم نتقلَّد غيرَهُ دينا
وقد ملكنا شياهَ الذلّ وافرةً
ضروعُها فحلبنا منه ما شِينا
فالبينُ يبذرُنا والخوفُ يُمطِرُنا
والظلمُ يَحصدُنا والريحُ تَذْرينا
إن قُلْتَ يا شاعري المحزونَ مِنْ ألمٍ
(أضحى التنائي بديلاً من تدانينا)
فنحن يا شاعري والبؤسُ يُصدِينا
نقول: واليأسُ يَسْقينا فيروينا
أضحى اليهودُ بديلاً من أهالينا
ونابَ عن صلة القربى أعادينا

****

عبدالعزيز سعود البابطين

يا حُب

تَـراقصَ الـوَرْدُ نـشـوانًـا بَـطَـلَّـتِـهـا
وأمـطـرَ الـغَـيْثُ هـتّـانًـا يُـنـاغـيـنـا
وَدَغْـدَغَـتْـنـا نُـسَـيْـمـاتٌ بـهـا بَـلَلٌ
تُـبَـشِّـرُ الـقـلبَ بـالـلُّـقـيا فَـتَـهْـنـيـنـا
ونَـغْـمَـةُ الـفَـجْـرِ في أُنسٍ تُـضَـمِّـخُـنـا
وبـلـبلُ الـدَّوْحِ صَـدّاحٌ يـغـنّـيـنـا
ومـهـجـةُ الـكـونِ لا تُـخـفي مَـسرَّتَـهـا
فـقـد أجـادتْ طـيـورُ الـرَّوْضِ تَـلْـحِـيـنـا
وَيَـرْقُصُ الـلَّـيْلُ، والألحـانَ تـسـكُـبُـهـا
يـدُ الـزَّمـانِ، فـصـار الـلـحنُ يُـشـجـيـنـا
وحـرّك الحُبُّ في هـذي الـدُّنَى وَتَـرًا
وأصـبحَ الـكـونُ بـالـنَّـسْـرين يـرمـيـنـا
يـا حُبُّ مـا أنتَ!؟.. لا تُـفـنـيكَ غـائِـلَـةٌ
مِنَ الـدَّهـور، وتَـبْـقَى أنتَ تُـفـنـيـنـا

- ولد في الكويت عام ١٩٣٦.
- عمل في دائرة المعارف ثم تفرغ للعمل الحر.
- أنشأ «مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري» عام ١٩٨٩.
- دواوينه الشعرية: «بوح البوادي» ١٩٩٥ ، و«شدو البوادي» ٢٠٠٤.

يـا حبٌّ مـا أنتَ!؟.. يـشـكـوكَ الـفـؤادُ إذا

تـعَـسَّـرَ الـوَصْلُ... أو تحـنـو فـتُـدنـيـنـا

يـا حبُّ، أَبْـقَى حـبـيـبًـا طـولَ أزْمـنَـتي

رغمَ الـتَّـبـاعُـدِ، رغمَ الـبـينِ يُـضـنـيـنـا

لمن أراهـا بـقـلـبي كـلّـمـا هَـتَـفَتْ

ورقـاءُ في غُـصْـنِـهـا تَـشْـدو أغـانـيـنـا

يـا شِـعْـرُ أنتَ أنـيـسي في مَـتـاهَـتِـنـا

وأنتَ أنتَ الـذي تُـمْـلي تَـنـاجـيـنـا

وأنتَ يـا شـعـرُ لـولاكَ الـذي مـسـحتْ

أنـغـامُكَ الـدَّمْعَ من أدنى مـآقـيـنـا

لَـصِـرْتُ أنجـو مع الـنَّـاجـينَ من ولَعٍ

وصـرتَ أنتَ بـعـيـدًا عن تَـغَـنِّـيـنـا

يـا شِـعْـرُ قُـلـهـا وعَـبِّـرْ عن مَـشـاعِـرِنـا

فـالـوَصْلُ بـالـوهْمِ يُـغـني، بل يـسلّـيـنـا

ألـم تَـقُلْ: إنَّه في يـوم طَـلْـعَـتِـهـا

سَـيُـمْـطِـرُ الـغَـيْثُ هـتّـانًـا يُـنـاغـيـنـا

****

غُرة الدنيا

تَمَايلَ السِّحْرُ جَذْلانًا ومُنْتَشِيًا
لَمَّا أطلَّتْ وحَلَّتْ في مَغانينا
وَهَبَّ من عِطْرها الفَوّاحِ ما عَبِقَتْ
به رياحينُها في جَوِّ نادينا
وَدَغْدَغَتْنا أمانينا مُؤرّجةً
تُبَشِّرُ القلبَ باللُّقيا فتُحْيينا
شمسٌ من الحُسْنِ والإشراق باهرةٌ
تُضيء أنوارُها داجي ليالينا
حُضورُها الشِّعْرُ مَنغومًا بخُطْوَتِها
ما أروعَ الشِّعْرَ تَنْغِيمًا وتلحينا
قصيدةٌ.. نَغَمٌ فِي زِيٍّ فاتنةٍ
من الغَواني، فأَنشِدْ يا مُغنّينا
تَموَّجَ السِّحْرُ مَخْمورًا بجنّتها
وراحَ من كأسها يَحْسو ويسقينا
وغَنّتِ الطَّيْرُ تشدو باسمها طَرَبًا
ورَدّدتْ في أغانيها أسامينا

مَـفَـاتِنُ الخَـلْقِ بـاتتْ في شـواطـئـهـا

وفي مـرافـئـهـا بـاتتْ مَـرَاسـيـنـا

كـأنَّ مـا في ضـمـيـر الـكـونِ من فِـتَنٍ

جُـمِّـعْنَ فـيـهـا ولَـيْـلَـى جُـمِّـعتْ فـيـنـا

كـأنَّ دنـيـا الـهَـوَى بـاحتْ بمـا كَـتَـمَتْ

عـنّـا طـويلاً، وقـال الـدهـرُ: آمـيـنـا

أوَّاهُ يـا غُـرَّةَ الـدنـيـا وبَـهْـجَـتَـهَـا

دُومي لـنـا وَبِـصَـوْتِ الحُبِّ نـادِيـنـا

مـا أطـيبَ الـعُـمْـرَ حـين الحُبُّ يَـغْـمُـرُهُ

والـشَّـوْكُ في دَرْبِه يـغـدو ريـاحـيـنـا

يـا حبُّ مـا أنتَ؟! يَـفْنَى الـدهرُ مُنْصَرِمًا

وأنتَ في سِـرِّنـا تَـحْـيَـا وتُـغـويـنـا

فـإن نـأيتَ قـلـيلاً عن مـشـاعـرنـا

دنتْ بِـنَـأْيِكَ - واشْـتَـدَّتْ - مـآسـيـنـا

وإن تَـعُـدْ عـادتِ الـدنـيـا لـنـا أملاً

وعـاد وابـلُـهـا يـسـقي دوالـيـنـا

لـسـوف أبـقى شَـغُـوفًـا بـالـتي جـعـلتْ

من الـصَّـحـاري بـأيـامي بـسـاتـيـنـا

وسـوف أبـقى أُمـنّي بـالـهَـوَى وَلِـهـاً

في مَـعْـبَـدِ الحُبِّ حـين الـشَّـوْقُ يُشـقـيـنـا

يــا حبُّ لــولاكَ مــا فــاضت مــشــاعــرُنــا

شِــعْــرًا ولحــنًــا، ولا صــارت دواويــنــا

وأنتَ يــا شِعْــرُ، يــا سِحْــرَ الــوجــودِ ويــا

سُلافَــةَ الــروحِ، يــا أصْــفَى أغــانــيــنــا

لــولاكَ يــا شِــعْــرُ مــا مسَّ الــهَــوَى وتــرًا

في قــلــبــنــا أو شَــدا بــالحُبِّ شــاديــنــا

ولا تـــألّقَ في أجـــوائـــنـــا قَـــمَـــرٌ

ولا سَــمِــعْــنــا خَــريــرًا في سَــواقــيــنــا

يــا شِــعْــرُ قُــلْــهــا وأَسْــفِــرْ عن تَــدَلُّــهِــنــا

بمن إذا خَــطَــرتْ تــســبي الــمُــحــبّــيــنــا

ألم تَـــقُلْ إنَّ مـــا في الـــكـــون من فِـــتَنٍ

جُــمِّــعْنَ فــيــهــا، كــمــا قــد جُــمِّــعتْ فــيــنــا

****

عبدالعليم القباني

ذكريات

بـالـلـه يـا صـادحـاتِ الأيكِ غـنّـيـنـا
نـسـتـرجعُ الأمسَ أو نُـبقِ الـصِّبـا فـيـنـا
أو نـــســـتـــردّ من الأقـــدار رائـــعـــةً
رفّـافـةَ الـحـسنِ من أطـيـاف مـاضـيـنـا
أيـــامَ كـــنّـــا. وكـــان الـدهـــرُ في سِـنَـــةٍ
عـنـا نـرود ضـفـافَ الـعـمـرِ هـانـيـنـا
إذا دنـــا الـــلـــيلُ أو دعـــنـــا غلائـــلَه
في مُـطْـرفٍ كـفـراش المـرجِ تـلـويـنـا
وإن رنـا الـصـبحُ من شُـبّـاكـنـا الـتـفـتتْ
نـواعسٌ بـالجـنى الـنـشـوان تُـغـريـنـا
يـــا لـــلـــزمـــان ومـــا ضـــمّتْ مـــواكـــبُه
من ذكـريـاتٍ نـسـجـنـاهـا بـأيـديـنـا
تـكـاد تـنـفـضـهـا جـمـرًا جـوانـحُـنـا
لـتـسـتـحـيلَ دمـوعـاً في مـآقـيـنـا

– ولد بمحافظة «كفر الشيخ» عام ١٩١٨م، وتوفي عام ٢٠٠١م.
– ثقف نفسه بنفسه بعد أن أنهى دراسته الابتدائية.
– عمل موظفاً بجامعة الإسكندرية.
– فاز بجائزة الإبداع في مجال الشعر من مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري في دورتها الثانية عام ١٩٩١.
– من دواوينه: «أشعار قومية»، «بقايا سراب» ١٩٦٩، «انطلاق».
– هذه القصيدة من كتاب: «مهرجان الشعر الرابع»، الصفحة ٧١ – ٧٢، المنعقد بالاسكندرية عام ١٩٦٢، المجلس

إذ نحن فوق الرمالِ الشقرِ أغنيةٌ
غنّى بها في سماء الحبِّ شادينا
وإذ نحسّ بأعماق الوجودِ لها
في خافقَيْنا صدًى ما زال يُشجينا
نهفو إلى الطير في دلٍّ يُطالعنا
ونشهد النجمَ في صمتٍ يراعينا
وللنسيم بسمع الليلِ وشوشةٌ
كما تَهامسَ عشّاقٌ شَجيّونا
وحولنا البحرُ يُصغي ثم يُرسلها
موجاتِ شوقٍ على شوق تُحيّينا
وقيلَ عني: زواه الشيبُ وانطفأتْ
رؤىً بعينيه يُلهمنَ المحبّينا
وصوّحتْ مهجةٌ رعناءُ ما حفلتْ
يوماً بغير الهوى شكلاً ومضمونا
هامت بزهر الرُّبا حينًا فجرّحَها
شوكُ الورودِ وروّاها الشذا حينا
حتى إذا الفجرُ ألقى فوق مفرقهِ
وشاحَه وتهاوى الليلُ مغبونا
سلا ووسّده السلوانُ راحتَه
ورَوّضَ اليأسُ ما أعيا المداوينا
لا يا رفاقيَ هذا الشوقُ ملءُ دمي
أكاد ألمحه ظمآنَ مجنونا
لا والذي بثّها في كلّ جارحةٍ
مُنىً تلاقت على دربي رياحينا
ما إن سلوتُ وما إن طاف بي مللٌ
ولا انثنيتُ جريحَ القلبِ مَحزونا

لــكـــنّه صـــوتُ آبـــائي يُـــؤرّقـــني
ويُـرسل الـلـومَ في جـنـبيَّ سِـكّـيـنـا
أتــنـظم الـشـعـرَ في غـيـداءَ لاهـيـةٍ
والمجـدُ حـولكَ يـسـتـدني الملايـيـنـا
هـذي الـعـروبـةُ قـد قـامت قـيـامـتُـهـا
وفـجّـرتـهـا عـلـى الـبـاغـي بـراكـيـنـا
وأنتَ في مـــوكب الــعــشّــاقِ راويـــةٌ
تـهـفـو وتـخـفق إيـقـاعـاً وتـلـحـيـنـا
لـستَ ابنَ يـعـربَ إن لـم تـبـدُ عـاصـفـةً
نـاريّــةَ الـوعيِ تجـتـاح المـيـاديـنـا
كــفـعـل قــومكَ شــادوا في بــداوتـــهم
مــا أذهلَ الــغـــربَ روّاداً وهـــاديـــنـــا

✲✲✲✲✲

وهل بـدا الـصـبحُ إلا من مـطـالـعـنـا
وهل زهـا الـنـورُ إلا في مَـجـالـيـنـا؟
وهل شـدا الـشـعـرُ صـدّاحـاً عـلـى وتـرٍ
قـيـثـارُه الـسـحـرُ إلا في بـواديـنـا؟
وهل ســرتْ قــصّــةٌ في الأرض خـــالـدةٌ
إلا عــلـى دربــنـــا أو في نـــواديـــنـــا؟
وهل مـضى الـعـلـمُ يُـعـلي من مـنـائـرهِ
في الـغـرب إلا عـلـى آثـار بـانـيـنـا؟
وذي المـمـالكُ: هل ضَـمّتْ جـوانـحُـهـا
من رائع الـفنِّ مـا ضـمّتْ روابـيـنـا؟
ومـا الـبـطـولاتُ في أسـمى مـظـاهـرهـا
إلا الـسـطـورُ الـتي أمـلتْ أوالـيـنـا

في الحرب والسلم كان العدلُ شرعتَنا
(لا نبتدي بالأذى من ليس يؤذينا)
سجيّةٌ طبعتْها في ضمائرنا
أخلاقُنا وارتضيناها لنا دِينا
إنا نُسالم حبّاً من يسالمنا
في عزّةٍ ونُعادي من يعادينا

☼☼☼☼

إسكندريّةُ: عاد الفجرُ وانطلقتْ
مواكبُ النورِ في الآفاق تدعونا
إلى الصباح إلى دنيا مشعشعةٍ
بالأمنيات إلى أفراح وادينا
إلى الربا طلقةً والسهلِ مؤتلقًا
إلى الغد السمحِ نُعليه فيُعلينا
إلى حياةٍ رجوناها لأنفسنا
عبرَ الزمانِ إلى أن قال آمينا

****

عبدالغفور الدانابوري

بانت سليمى

بـانت سُـلـيـمى فـمـا شيءٌ يُـسلّـيـنـا
ولـوعـةُ الـبـينِ يَـشـويـنـا ويُـصـلـيـنـا
قـامت تـودّعـني والـهـجـرُ يمـنـعـهـا
وقـمتُ عـانـقـتُـهـا والحـزنُ يُـبـكـيـنـا
تـقـول صـبـراً جـمـيلاً لا تـمتْ أسـفـاً
أعـطـاكَ ربّي غـداةَ الـبـينِ تـسـكـيـنـا
فـيـا لَـهـا تـركـتـني هـائـمـاً قـلـقـاً
وودّعــتــني وداعــاً لا تُــبــالــيــنــا
الــقــلبُ مــلــتــهبٌ والــعــينُ ذارفــةٌ
وشبَّ نـارُ الــهـوى والـدمعُ يـرويـنـا
غــيــداءُ فـاتــنــةٌ هــيـفـاءُ نـاعـمـةٌ
تحكي نـسيمَ الـصَّبـا أعـضـاؤهـا لِـيـنـا
شــمسٌ إذا طــلــعتْ بــرقٌ إذا بــرزتْ
فـتّـانـةٌ بـسـهـام الـعـينِ تـرمـيـنـا

– أحد العلماء العاملين بالحديث.

– قرأ العلم على فيض الله المولوي وعلى غيره من العلماء، ثم أسند الحديث عن السيد نذير حسين الدهلوي المحدّث.

– له مصنفات كثيرة وشعر حسن.

– انظر: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام (١٢٨٥/٧).

كـــأنـــهـــا في ظلام الـــلـــيلِ إذ خـــرجتْ

بـــرقٌ تَـــنـــوَّرَ من تـــلـــقـــاء بـــلـــقـــيـــنـــا

خَـــوْدٌ غـــدائـــرُهـــا طـــالت إلى قـــدمٍ

والـــفـــرعُ يـــحـــكي ســـواداً من لـــيـــالـــيـــنـــا

تـــفـديكَ شـوقـاً تـعـالي واسـمـحي كـرمـاً

الـــلحظُ من طـرفكِ الـمِـمـراض يَـشـفـيـنـا

****

عبدالقادر حسن العاصمي

نــجــوى

خـلُّـوا سـبـيلَ الـهـوى يـأخـذْ بـأيـديـنـا
فـقـد يـئـسـنـا مـن الـنُّـطْس المُـداويـنـا
شلَّ الأعـادي يمــينَ الـوهلِ فـانــخـذلتْ
كـأنــهـا لـم تُـداعـبـنـا فـتُـغـريـنـا
فلا تــزيـــدوا أخلاّئي - لَـــعًـا لَـــكُمُ -
مـا بـالـفـؤاد فـفـيـه مـا يُـعـنِّـيـنـا
يا لـيت شـعـري، وكفُّ الدهـرِ قـد بـطشتْ،
أيُّ المـصـائبِ لم تـنـزل بـنـاديـنـا؟
ســـجنٌ ونـــفـيٌ، ولا رسلٌ ولا كـــتبٌ
كـأنمـا قـد وُئـدنـا في فـيـافـيـنـا
والـلـهِ لـولا المـنى تـبـدو مُـداعـبـةً
جـفـونَـنـا لأتـاكم وفـدُنـا عِـيـنـا!
فلا يُـبَـقِّي عـلى إيمـاض جـذوتـنـا
إلا الخـلـودُ إلى الـنـجـوى فـنـاجـيـنـا

– عبدالقادر حسن العاصمي.
– ولد عام ١٩١٦ في مدينة «مراكش الحمراء» وتوفي عام ١٩٩٦م.
– درس في كلية ابن يوسف بمراكش.
– عمل في وزارة الخارجية بعد الاستقلال.
– صدر عنه ديوان «أحلام الفجر» ١٩٣٦.
– انظر: معجم البابطين ٣/٣٠٨، ومختارات من الشعر العربي في القرن العشرين، ٤/ ٧٠٩.

يـا من حـلـلـتِ سـويـداءَ الـفـؤادِ ومن
وهـبـتِه فـوق مـا يُـرضي المحـبّـيـنـا
عـطـفـاً كـريمـاً وتـدلـيـلاً عـلـى مِـقـةٍ
كـأنه الـطـفلُ في حـضن المـربّـيـنـا
إن الـــفـــؤاد الـــذي قـــد كـــنـتِ راعـــيَه
قـد اغـتـدى مَـثَلاً بـين الـوفـيِّـيـنـا
مـا قـام داعٍ وأمَّ الـصّـحبَ أشـرفُـهم
إلا وكـنـتِ دعـائي في المـصـلّـيـنـا؟
ولا تـــذكَّـــرَ مـــنـــا إلـــفَه أحـــدٌ
إلا ذكـــرتُكِ إجلالاً لمـــاضـــيـــنـــا

☆☆☆☆☆

من لي بـكم والأسى قـد عـمَّـنـا وأطـا
لتِ الـشـمـاتـةُ أعـنـاقَ المـعـاديـنـا
حـــتى أزفَّ إلـــيـــكم - والمـــنى حـــلُمٌ
نـهذي بـهـا، فـيـغـنِّـيـهـا مُـغـنّـيـنـا -
أنَّ الـزمـان الـذي قـد بـات يُـضـحـكـهم
منـا سـيـسقـيـهمُ سُمّاً وغِسلـيـنـا!
فـكـلـمـا داس من أعْـمـتـه قـوّتُه
قـداسـةَ الحقّ أضـحى في الأذلّـيـنـا!
فلا تَـرُعْكِ - فـدتكِ الـنـفسُ - محـنـتُـنـا
مـتى فـدتْ غـادةٌ ظـلّتْ تـنـاغـيـنـا!
حـاشـاكمُ أن تـغـاروا إذ أُغـازلـهـا
حـريّـةً خُـذلتْ تـدعـو الـغـيـوريـنـا!
يـا منـيـةَ الـقلبِ، مـا يـبـغي الـفؤادُ بـكم
قـصـورَ عَدْنٍ مُـنىً، أو حُـورهـا الـعِـيـنـا

وإنما غـايـتي أن نـنـتـشي مـعــهـا
بـكـأسـهـا فـيُـهـنّـيـنـا مُـهـنّـيـنـا!
فـلـذةُ الـعـيشِ أن يـنـهلّ صـيِّـبُـهـا
عــلى مــرابع واديــنــا فـيَـرويــنــا

☆☆☆☆☆

فــيــا سـحــائـبَــهـا طُـوفي بمــرّاكشٍ
مَـغنى أحبّـتنـا، فاسْقي الـمُواسينا؟
فــإنْ تجــودي بــهــا مــأواهمُ فــلــقــد
أرضـيـتِ من أسَّسَ اسـتـقلالَ واديـنـا
بــيــتــاً لإدريسَ زاد الــلـهُ بــهــجــتَه
بـضـمّـنـا، وبـتـمـزيق المـغـيـريـنـا
أَنْــمــاهُمُ وحــبــاهم من شــمــائــلـهِ
سيمـا الـفضيـلـةِ تـتويجـاً وتـزيـينـا
يمــوج في وجــهــهم من نــوره قــبسٌ
تَـمـوُّجَ الـراحِ من مـكـنــون دارينــا
مـا ضـرَّهم أن عـنتْ غـرُّ الـوجـوهِ له
وغضَّ من خُـيلاء الحُـورِ تحـسـيـنـا
وهـزَّ عـرشَ «كـلـوبـتـرا» مـنـافـسـةً
وبـزَّ «بـلـقـيسَ» إبـداعـاً وتـكـويـنـا
واخــتــار مــني المــغــالي في مــودّتهِ
فـشـاء مـنـهـا كِـفـاءً في تـدانـيـنـا
كــأنــني وأنــا أغــدو مُــنــادمَه
مُــتــوّجٌ مــلكَ المــأوى أفــانــيــنــا
فـلم يـزل بي يُـعـاطـيـني فـأشـربـهـا
عـلى اشـتـيـاقٍ كـأن لم نـغـتـبقْ حِـيـنـا

عَـقـداً وربــعـاً عـقـدنـا مـنه أمـسـيـةً
بمـقـصف الـلـهـوِ من نـادي أمـانـيـنـا
نـلــهــو ونــرقص والــدنــيــا مــواتــيــةٌ
ونـــايُ حبٍّ جـــمـــوحٍ كـــان شـــاديــنـــا
قـد ألّفَ الحبُّ من رقـصـاتـنـا نـغـمـاً
أضفى عليها «بيانُ» السعدِ تلحينا
فـكـان لحـنـاً سـمـا فـيه بـصـنـعـتهِ
تـرسُّلٌ مُـعـجـزٌ يُـشـجي الخـلـيِّـيـنـا
وزمَّـــلتْ أُزُرُ الـــنُّـــعـــمى زمـــالـــتَـــنـــا
وزاد نـشـوتَـنـا عـمـقـاً تـصـافـيـنـا
يـا حـلـوَهـا لـيـلـةً أجـنتْ لـنـا مُـتَـعـاً
شـتّى وأفـعـمتِ الأنـفـاسَ نِـسـريـنـا
كـأنـهـا من لـيـالي الخـلـدِ قـد نُـزِعتْ
مــديـدةَ الـشــأوِ إيـحــاءً وتـلــقـيـنـا
شـرخُ الـشـبـابِ وعـينُ الـسـعـدِ سـاهـرةٌ
ونــفْثُ مــارُوتَ سـجّى من مــاَقـيـنـا
حتى ظـنـنّـا صـروفَ الـدهـرِ قـد صُرِفتْ
وأنّـــهــا لا تُــداني حــفلَ نــاديــنـا
إذا مـلـطّـخـةُ الأيـدي تُـبـاغـتُـنـا
فـحـطّـمتْ فـجـأةً أزهى مـراعـيـنـا!
فـطـوّحتْ بي إلى صـحـراءَ لافـحـةٍ
وخـلّـفت غـصـنَـهـا يـذوي فـيُـضـويـنـا

****

عبدالله بن علي الخليلي

ذكرى ابن زيدون

قمْ عـانقِ الحـسنَ والـثـمْه ريـاحـيـنـا
وداعبِ الـزهـرَ جـوريّـاً ونِـسـريـنـا
ولامسِ الأنسَ في مـهـد الـسـرورِ وقفْ
بـين المـعـالمِ والأعلام مَـفـتـونـا
واغـنمْ عـلى الـسـرّ روحَ الـلهِ يـنـفح عن
آلائه حـيث تـسـتـجـلي الـهـوى دِيـنـا

✡✡✡✡

وحيٍّ بـالـلـطف حـيّـاً بتَّ تـخـضـله
دمعَ الـوفـاءِ بـأنّـات المـشـوقـيـنـا
سـاقَ الـقـضـاءُ الأمـاني فـيه طـيّـبـةً
إلـيكَ والـسـعـدَ بـالـلـذات مـقـرونـا
وأسـبلَ الجـدُّ فـيه بـالـلـقـاء كـمـا
شـاءَ الـهـوى بُـردةً تحـوي المحـبّـيـنـا

✡✡✡✡

– الشيخ عبدالله بن علي بن عبدالله بن سعيد بن خلفان الخليلي.
– ولد عام ١٩٢٢ في سمائل وتوفي عام ٢٠٠٠.
– تعلم على شيوخ عصره، وتقلد المناصب الرفيعة في الدولة وكان آخرها مستشاراً بوزارة العدل والأوقاف.
– له عدد من دواوين الشعر، منها «من نافذة الحياة» طبع بمصر ١٩٧٣، و«وحي العبقرية» طبع عام ١٩٧٨، د.ت، و«وحي النهى»، و«على ركاب الجمهور»، ١٩٨٨، و«بين الحقيقة والخيال»، مجموعة قصصية شعرية ١٩٩١.
– يعد الخليلي معلماً من معالم الثقافة العمانية.
– سماه بعضهم أمير البيان ونسبوا إليه إمارة الشعر في عمان.
– القصيدة المدونة أعلاه من ديوان: «وحي العبقرية» (٣٣٤ – ٣٣٦).

يـبـيت فـيـهـا الـهـوى فوق الـسريـرِ عـلى
أنسٍ ويـصـبـح فـوق الـعـرشِ مـأمـونـا
ويـقـعـد الـلـطفُ بـسّـامـاً بـحـافـتـهـا
كـأنـمـا قـرأ الـنُّـعـمـا عـنـاويـنـا
ويـسـتـريح عـلـى لحن الجـمـالِ كـمـا
شـاءت تـواقـيـعُه صـوتـاً وتـلـحـيـنـا
ويـفـتـح الـوردُ فـيـهـا وجـنـةً طـفـحتْ
بـالـبِـشـر تحـسـبـهـا الـدنـيـا أفـانـيـنـا
ويـبـسـم الـسنُّ عن نـور الأقـاحِ عـلـى
فم الـشـقـيقِ يـزيـد الحـسنَ تـزيـيـنـا
ويـفـتح الـنـرجسُ الـوسـنـان عن مـقـةٍ
عـيـنًـا مـكـسّـرةً أجـفـانُـهـا لِـيـنـا
ويـرقـد الآسُ فـوق الـيـاسـمـينِ عـلـى
مَـرِّ الـنـسـيمِ ويـنـأى عـنـه تـمـريـنـا
ويـعـقـد الـعـنمُ الـورديُّ إصـبـعَه
على الـبـنفسج تُـهدي الكـأسَ حـاسـيـنـا

✲✲✲✲✲

حـيِّ ابنَ زيـدونَ في عـلـيـائه وعـلـى
وزارتـيـه ولـمّـا كـان مَـسـجـونـا
وحـيّـه في بُـنـيّـات الخـيـالِ وقـد
أبـدتْ من الـشـوق سـرّاً كـان مـكـنـونـا
وحـيّـه في رقـيـقٍ من مـشـاعـرهِ
يـذوب في الـكـأس مـنه خـمـرُ داريـنـا
وحـيّـه في هـوى ولادةٍ وعـلـى
«أضـحى الـتـنـائي بـديلاً من تـدانـيـنـا»

وقلْ له يـا بنَ وديّ عُـدْ بـنـا فـلـقـد،
أضحى التداني بديلاً من تنائينا
العيشُ روضٌ ولطفُ الله نضرتُه
والسعدُ غيثٌ به تُروى مَغانينا
وحمدُنا اللهَ نُعمى لا يقوم بها
شكرٌ ولله سِرٌّ في روابينا

✡✡✡✡✡

أخا قريشٍ سلاماً غيرَ منحصرٍ
منا عليكَ كما شاء الوفا فينا
أيقظتَ بالمغرب الآدابَ حافلةً
ضَرْعاً بألبان علمِ الضادِ مشحونا
فأُرضِعِ الوعيُ في أحضان أندلسٍ
وطار طائرُه للغرب ميمونا
وأشرقتْ في سماء العلمِ قرطبةٌ
كالشمس تكسو الفَضا وشيًا به زِينا
وأنتَ في سُبُل الأخلاقِ مُرشدُنا
وأنتَ في سبل الآدابِ حادينا
وأنتَ للحسب القدموسِ مَحتدُه
وأنتَ في المجد فخرٌ للعليّينا

✡✡✡✡✡

ألفٌ يمرّ من الأعوام أنتَ بهِ
مُجدَّدُ الذكرِ باقٍ يا بنَ زيدونا
لم يبلَ ذكرُكَ والآثارُ شاهدةٌ
إنْ يبلَ جسمُكَ تحت التربِ مدفونا
ولا نأى منكَ شخصٌ حشوُه أدبٌ
وعزمةٌ بمضاها الدهرُ كم دِينا

✡✡✡✡✡

أكـرمْ جـــهـــازَك يـــا إعلامَ مـــغـــربـــنـــا
بـــذكـــر من خـــلّـــدَ الآدابَ تـــدويـــنـــا
في مـــهـرجـانٍ تُـقـيم الـدهـرَ حـائـطَه
لـلشـرق سُوراً ولـلـفـصـحى أساطـينـا
تـــدعـــو إلى ســاحه أبـــنـــاءَ جـــلـــدتهِ
فـيـهـرعـون إلى المـغـنى مُـلـبّـيـنـا
كـأنــهم زمـرٌ لــلــخُــلـد قـد حُـشِـرتْ
يـحدوهمُ الـروحُ والـريـحـان سـاعـيـنـا
لـــبّـــيكَ إخـــوتَـــنـــا إنـــا بـــدعـــوتـــكم
نـتـيه فخـراً ونُزجي الشعـرَ نِسـريـنـا

☼☼☼☼

بَدارِ لـلـفـخـر فـاجـنحْ يـا فـتى خَـلَفٍ
حـتى تـوافيَ سـاحـاتِ الـوفـيّـيـنـا
إخـوانُـنـا في ربـوع المـغـربِ اخـتـرقـوا
إلـــيكَ أجـــواءَ هـــذا الأفقِ داعـــيـــنـــا
فـلـــبّـــهم تـــلقَ إخـــوانًـــا مـــبـــاركـــةً
أقـدامُـهم قـطـعـوا الـدنـيـا مـيـاديـنـا
مُـــســـارعـــين لإحـــيـــاء الـــتـــراثِ فـــفي
إحـيـائه الـفـخـرُ بـين الـيـعـربـيّـيـنـا
فـــألقِ دلـــوكَ فـــيـــهم إنّ مـــوردَهـــا
عـذبٌ غـزيـرٌ كـمـا شـاءت قـوافـيـنـا

☼☼☼☼

عـرشٌ عـلى المـغـرب الأقـصى يـبـاركه
لـلـعـبـقـريـة عِـيصُ الـهـاشـمـيّـيـنـا
عـــلى الـــربـــاط رواســـيه ودارتُـه
تجـلـو عـلى دارة الـبـيـضـاءِ هـارونـا

والـضـادُ تـسـحب فـيه ذيلَ تـائـهـةٍ
فـلـيـبقَ لـلـضـاد عـرشُ المـغـربـيّـيـنـا
هـذي عُـمـانُ لـتـاج الـشـرق مَـفـرقُه
ولـلـعـروبـة عـرشٌ والـغـنى مِـيـنـا
عـرشٌ تَـربَّعَ عِـيصُ الأزدِ هـامـتَه
يـجلـو الـتـبـابعَ والـصِّـيدَ المـيـامـيـنـا
الـدهـرُ يـسـجـد ذلاً حـول عـتـبـتهِ
وعـزُّه يـقـهـر الـدنـيـا أواويـنـا
والـنـاسُ أبـنـاءُ عـافٍ تحت أروُقهِ
يـسـتـمـطـرون به الـغـرَّ المـيـامـيـنـا
لا تـكـذب الـلـهَ لـلـتـاريخ حـجّـتُه
فـسـائلِ الـدهـرَ واقـرأه دواويـنـا
والحـمـدُ لـله حـمـداً في الخـتـام له
مـسكٌ تَـضـوع به الـدنـيـا ريـاحـيـنـا

****

عبدالله فريج

واهاً لعهدٍ

واهــاً لــعـــهــدٍ بـه تــمّتْ أمــانــيــنــا
بـجـمـع شـمـلٍ فـخـانـتـنـا لـيـالـيـنـا
وبــعــدمــا ازدان بــالأحــبــاب نــاديــنـا
أضـحى الـتـنـائي بـديلاً عن تـدانـيـنـا
ونــاب عن طـيب لـقـيـانـا تجـافـيـنـا
فكم لـكم في الـهـوى حـنّتْ جـوارحُـنـا
وعـاملُ الـوجـدِ بـالأشـواق جـارحُـنـا
واذ نـوى الـبـينُ يـومـاً لا يـبـارحـنـا
بِـنـتم وبـنّـا فـمـا ابـتـلّتْ جـوارحُـنـا
شـوقـاً إلـيـكم ولا جـفّتْ أمـاقـيـنـا
وهل سـوى طـيـفِـكم خِلٌّ يـسـامـرنـا
أو قـد حـوتْ غـيـرَ ذكـراكم سـرائـرُنـا
وإنّـمـا من لـظى وجـدٍ يُـخـامـرنـا
يـكـاد حـين تُـنـاجـيـكم ضـمـائـرنـا
يـقـضي عـلـيـنـا الأسى لـولا تـأسّـيـنـا
بـقـربـكم بـعـد مـا نـارُ الجـوى خـمـدتْ
فـبـعـدكم طـالمـا في الـقـلـب قـد وقـدتْ

– عبدالله فريج.
– من أدباء وشعراء مصر في العصر الحديث.
– له عدد من المؤلفات ودواوين الشعر.
– يرجح أن سنة وفاته بعد ١٨٩٥ وقبل ١٩٠٦.

وبـــعــدَ أُنسٍ بـه وُرْقُ الـســرورِ شـدتْ
حـالت لـفـقـدكـمـو أيّـامُـنـا فـغـدتْ
سُـوداً وكـانت بـكم بِـيـضـاً لـيـالـيـنـا
تـكـاد تُـوهي قـوانـا من تـأسّـفـنـا
عـلى زمـانٍ بـطـيب الـوصلِ مُـسـعـفـنـا
ولـم نـكن فـيه نـخـشى من مُـعـنِّـفـنـا
وجـانبُ الـعـيش طـلقٌ من تـألّـفـنـا
ومـوردُ الـلـهـوِ صـافٍ من تـصـافـيـنـا
عـــهــدٌ به كـــانتِ الأقـــدارُ لاهـــيـــةً
عـنـا ومن سـائـر الأكـدارِ خـالـيـةً
حـيث الـتـهـاني لـه كـانت مـصـافـيـةً
وإذ هـصـرنـا غـصـونَ الـبـانِ دانـيـةً
قـطـوفُـهـا فـجـنـيـنـا مـنه مـا شِـيـنـا
دهـرٌ به شـمـلُـنـا يـا طـالمـا الـتـأمـا
ومن لـذيـذ الـتلاقي طـالمـا اغـتـنـمـا
فـيه لـنـا افـترَّ ثـغرُ الـوصلِ وابـتـسـمـا
فـلـيُـسْقَ عـهـدكُـمـو عـهـدُ الـسـرورِ فـمـا
كـنـتُـم لأرواحـنـا إلا ريـاحـيـنـا
وإذ بـسـيل الـهـوى قـد ضـاق مـسـلـكُـنـا
صـحـنـا وفـرط الـتـنـائي كـاد يُـهـلـكـنـا
يـا من سـوى حـبّـهم لا شيءَ يمـلـكـنـا
إن الـزمـان الـذي لا زال يُـضـحـكـنـا
أُنـسـاً بـقـربـكـمـو فـالـيـومَ يُـبـكـيـنـا
لمـا قـضـى الـبـينُ فـيـنـا بـالـنـوى ونَـأوْا
عـنـاً أحـبّـاؤنـا بـعـد الـلـقـا وجـفَـوْا

ناديتُ يا من بعهدي في الغرام وَفَوا
غِيظَ العِدا من تساقينا الهوى فدعوا
بأن نغصَّ فقال الدهرُ آمينا
يا ما زها الأنسُ قبلاً في مجالسنا
ودارَ ساقي الهوى يسعى بأكؤسنا
وإذ نأوا من لقاهم غيرَ مؤنسنا
فانحلَّ ما كان معقوداً بأنفسنا
وانبتَّ ما كان موصولاً بأيدينا
أقول إذ عاد داعي البينِ شاغلكمْ
عنا ومنّا فؤادٌ لا يُزايلكمْ
يا من قطعتم عن المُضنى رسائلَكم
لم نعتقدْ بعدكم إلا الوفاءَ لكم
رأياً ولم نتقلّدْ غيرَه دِينا
غبتم فجاء لنا اللاحي يُعيّرنا
يروم عنكم بسلوانٍ يُصيّرنا
يامن سوى البعدِ عنهم لا يحيّرنا
لا تحسبوا نأيَكم عنا يُغيّرنا
إذ طالما غيّرَ النأيُ المحبّينا
لقد رحلتم فراح القلبُ مرتحلا
مَعْكم وجسمُ المعنّى ذاب منتحلا
ولو جفوتم وخيّبتُم لنا أملا
واللهِ ما طلبتْ أهواؤنا بدلا
منكم ولا انصرفتْ عنكم أمانينا
لمّا سرى ركبُكم عنّا بموكبهِ
ولم يفزْ صبُّكم يوماً بمطلبهِ

قد صحتُ والقلبُ يذكو في تَلهُّبهِ
يا ساريَ البرقِ غادِ القصرَ فاسقِ بهِ
من كان صرفَ الهوى والودِّ يسقينا
ويا مُيمّمَ بالأظعان جيرتَنا
مبادراً بالسُّرى تنحو أحبّتنا
لهم فصفْ حَرَّ شوقٍ شفَّ مُهجتَنا
ويا نسيمَ الصَّبا بَلِّغْ تحيّتَنا
من لو على البعدِ حيّا كان يُحيينا
أقول والنفسُ تبدي الشوقَ هائمةً
بنار وجدٍ ذكتْ في القلب مُضرمةً
يا من تُرينا بدورَ التمِّ مُسفرةً
لسنا نُسمّيكَ إجلالاً وتكرمةً
وقدرُكَ المعتلي عن ذاك يُغنينا
كاد الجوى بعدكم في البين يعدمُنا
من بعد سعدٍ بحظٍّ كان يخدمنا
كأنما حين كان الوصلُ يُنعمنا
سِرّان في خاطر الظلماءِ يكتمنا
حتى يكادَ لسانُ الصبحِ يُفشينا
وإذ تمادى الهوى يُبدي لنا عِبَراً
وكاد في فرطه يُودي بنا ضرراً
فصحتُ يامن حَلَتْ ألحاظُكم حَوَراً
إنا قرأنا الأسى يومَ النوى سُوَراً
مكتوبةً وأخذنا الصبرَ تلقينا
واللهِ يا من عدلتم عن تواصلنا
ووعدُكم بالتلاقي غيرُ شاملِنا

من يـوم مـا قـد نـأيـتم عن مـنـازلـنـا
لا أكـؤسُ الـراحِ تُـبـدي من شـمـائـلـنـا
سِـيـمـا ارتـيـاحٍ ولا الأوتـارُ تُـلـهـيـنـا
قـد قـلـتُ لمـا نـأتْ بـالـظـعن راحـلـةً
ولـيـس لـلـصبّ يـومَ الـبـينِ راحـلـةً
يـا من غـدتْ لـقـتـيل الحبّ هـاجـرةً
دُومي عـلـى الـودّ مـا دمـنـا مـحـافـظـةً
فـالحُـرُّ من دان إنـصـافـاً كـمـا دِيـنـا
وقـلـتُ إذ ظـعـنتْ والـبـينُ مـا خـشـيتْ
والأرضُ من عَـبَـرات الـصبِّ قـد سُـقـيتْ
يـامن بـهـا الـنـفسُ أهـوالَ الـهـوى لـقـيتْ
عـلـيـكِ مـنّي سلامُ الـلـهِ مـا بـقـيتْ
صـبـابـةٌ مـنكِ نُـخـفـيـهـا فـتُـخـفـيـنـا

****

عبدالله بن محمد بن خميس

ابن زيدون

يــا رائــدَ الــشــعــرِ إبــداعــاً وتــلــويــنــا
كــيــمــا تُــخــلّــدَ مــنه الخُــرَّدَ الــعِــيــنــا

ألــهــمــتَه نــفــثــاتِ الــســحــرِ راقــصــةً
ورُضــتَه لــيــكــونَ الــدُرَّ مــوضــونــا

كــنّــا نــعــدّ رقــيقَ الــشــعــرِ مَــثــلــبــةً
ونــركب الــصــعبَ من قــبل ابنِ زيــدونــا

فــاقــتــاده مــتــرفَ الألــفــاظِ طــيّــعَــهــا
يــكــاد يــنــقــدّ من أطــرافه لِــيــنــا

وكــان شــعــرُ الــفــراقــيّــاتِ نــســمــعه
فلا نــحسّ بــكــاءً مــنه يُــبــكــيــنــا

حــتى تَــغــنّى لــســانُ الــدهــرِ مــرتجلاً
(أضــحى الــتــنــائي بــديلاً من تــدانــيــنــا)

– عبدالله بن محمد بن راشد بن خميس.
– ولد عام ١٩٢٠ في قرية الملقى من ضواحي الدرعية.
– التحق بعد الدراسة الثانوية – بكليتي الشريعة واللغة في مكة المكرمة وحصل على شهادتيهما.
– تقلد عدة وظائف حكومية منها وكيل وزارة المواصلات ورئيس مصلحة المياه بالرياض.
– أصدر مجلة الجزيرة ثم تحوّلت إلى جريدة يومية.
– عضو في عدد من مجامع اللغة العربية.
– له نشاط واسع في المهرجانات والمؤتمرات الأدبية.
– له أعمال إبداعية ومؤلفات، منها «المجاز بين اليمامة والحجاز» و«شهر في دمشق» و«معجم اليمامة».
– له ديوان شعر بعنوان: «على ربى اليمامة» ديوانان في سفر واحد، ومنه أخذت هذه القصيدة من الصفحة ٣٢٩ – ٣٣٥، ط ٢/١٩٨٣، مطابع الفرزدق التجارية بالرياض.
– له ترجمة في معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين ٣/٤٤٤، الطبعة ٢، وفي مختارات من الشعر العربي في القرن العشرين ٢/٢٨٤.

وما تـأتّتْ لموهوبٍ مقابلةٌ
كشاردٍ من بديع الشعرِ يروونا
(سِرّان في خاطر الظلماءِ يكتمنا
حتى يكادَ لسانُ الصبحِ يُفشينا)
أبقيتَ في الشعر - عبرَ الدهرِ - معجزةً
تكاد تُعرَف في شرع الهوى دِينا
فِكرٌ تَفتّقَ إلهاماً وموهبةً
وضاحكاً من مُناخ العربِ مفتونا
في مُستَرادٍ خصيبٍ ساحرٍ عبقٍ
يشدو به الطيرُ تطريباً وتلحينا
يستنزل الشعرَ رهواً من مفاتنه
وينفث السحرَ إلهاماً أفانينا
تغدو به الغيدُ أسراباً يُرنّحها
سكرُ الصّبا ويُثنّيها رياحينا
من كلّ فاتنةٍ قال الجمالُ لها
يا آيةَ اللهِ كُوني ما تكونينا
ما لي إليكِ سبيلٌ فاذهبي طَلَقاً
لم يبدعِ اللهُ أحلى منكِ تكوينا
أبا الوليدِ لقاحُ الشعرِ ما سُكِبتْ
فيه الملاحةُ تدبيجاً وتزيينا
وما تَنفّسَ عن عصماءَ ملهمةٍ
تَملّكَ الحسنُ منها الكافَ والنونا
فإن ملكتَ زِمامَ الشعرِ تُرسله
ورداً يفوح الشذا منه ونِسرينا
فمُلهماكَ - وإن أبدعتَ - خاطرةٌ
يسخو بها الدهرُ من أحيانه حِينا

ومـــربعٌ شـــاعـــريٌّ في صـــحـــائـــفهِ

خَــطّتْ يــدُ الــلـهِ تــفــويــفــاً دواويــنــا

أبـا الـولـيـدِ أعـرْ نجـوايَ مُـصـغـيـةً

لـطـالمـا سـمـعتْ صـوتَ المحـبِّـيـنـا

الـقومُ بـعـدَكَ عقّوا الـشعـرَ واتّـخـذوا

بـعـدَ الجـيـادِ الـكـريمـاتِ الـبـراذيـنـا

ضـاقـوا بـه يـخـلـب الألـبـابَ مُـرتجـزاً

جمَّ الـنُّـهى عـبـقـريَّ الـفـكـرِ مـوزونـا

واســتـبـدلـوه بـأمـشـاجٍ مـلـفّـقـةٍ

تجـتـرّهـا بـدعـةُ الـتـقـلـيـدِ تـلـقـيـنـا

قـالـوا ابنُ زيـدونَ مَـثّـالٌ، ومُـتَّـبعٌ

(إلـيـوتُ) أجـدرُ تجـديـداً وتحـسـيـنـا

أولى لــهم ثمَّ أولى أن يــخــاطــبَــهم

شـعـرٌ تـركتَ صـداه خـالـداً فـيـنـا

(مـا حـقُّـنـا إن تـقـرّوا عـينَ ذي حـسـدٍ

بـنـا ولا أن تـسـرّوا كـاشـحـاً فـيـنـا)

(غِيظَ الـعدى من تساقيـنا الـهوى فدعوا

بـأن نـغصَّ فـقـال الـدهـرُ: آمـيـنـا)

(فـانـحـلّ مـا كـان مـعـقـوداً بـأنـفـسنـا

وانـبتَّ مـا كـان مـوصـولاً بـأيـديـنـا)

أبـا الـولـيـدِ تحـيّـاتٌ مـعـطّـرةٌ

نجـديّـةُ الـعـرفِ نُـزجـيـهـا قـرابـيـنـا

من مـربـع الـشـيـحِ والـقـيـصـومِ بـاكـرَه

صـوبُ الـغـمـامِ وجـاسـته الـصَّبـا هُـونـا

حـيث المـغـاني رقـيقُ الـشـعـرِ غـازلَـهـا

وحـيث صـادحُـهـا الـنـشـوان يُـشـجـيـنـا

مهدُ العروبةِ تهوي نحوها أبداً
قلوبُهم ولذكراها يَحنّونا
واستلهموا نحوَها ما قال شاعرُنا
أبو الوليدِ وكم فيه تأسّينا
(لم نعتقد بعدكم إلا الوفاءَ لكم
رأياً ولم نتقلّدْ غيرَه دِينا)
(لا تحسبوا نأيَكم عنّا يُغيّرنا
أنْ طالما غيّرَ النأيُ المحبّينا)
(واللهِ ما طلبتْ أهواؤنا بدلاً
منكم ولا انصرفتْ عنكم أمانينا)
أبا الوليد: إذا انكرتَ (قرطبةً)
مهداً تقلّبتَ في أفيائه جُونا
وعقّنا الدهرُ في فردوس أمتنا
واستبدلَ السُّمْرَ بالحُمر البزازينا
ففي (الرباط) لنا أهلٌ ومُرتبعٌ
بالدار دارٌ وبالأهلين أهلونا
والدهرُ مازال ما بين الورى دولاً
يُغيظنا تارةً منه ويُرضينا
وحسبُنا أملٌ في ظلّه عملٌ
إلى مطالبنا الشمّاءِ يحدونا

****

علي الجارم

السودان

يـا نـسـمـةً رنّـحتْ أعـطـافَ واديـنـا
قـفي نُـحـيّـيك، أو عُـوجي فـحـيّـيـنـا!
مـرّتْ مع الـصـبـح نـشـوى في تَـكـسُّـرهـا
كـأنـمـا سُـقِـيتْ من كفّ سـاقـيـنـا
أرختْ غـدائـرَهـا أخـلاطَ نـافـجـةٍ
وأرسـلـتْ ذيـلَـهـا ورداً ونـسـريـنـا
كـأنـهـا روضـةٌ في الأفق سـابـحـةٌ
تـمجّ أنـفـاسَ مَـسـراهـا الـريـاحـيـنـا
هـبّتْ بـنـا من جـنـوب الـنـيلِ ضـاحـكـةً
فـيـهـا من الـشـوق والآمـال مـا فـيـنـا
إنـا عـلـى الـعـهـد لا بـعـدٌ يُـحـوّلـنـا
عن الـوداد، ولا الأيـامُ تُـنـسـيـنـا
أثـرتِ يـا نـسـمـةَ الـسـودانِ لاعـجـةً
وهـجتِ عشَّ الـهـوى لـو كـنتِ تـدريـنـا

- علي بن صالح بن عبدالفتاح الجارم.
- ولد في رشيد عام ١٨٨١ وتوفي بالقاهرة عام ١٩٤٩م.
- أديب مصري من رجال التعليم والثقافة والأدب.
- من أعضاء المجمع اللغوي العربي بمصر.
- له ديوان شعر، طبع غير مرّة بأربعة أجزاء بعنوان «ديوان الجارم».
- له مؤلفات متعددة الجوانب، كان لتخصصه بإنجلترا في مجال التربية أثر رفيع.
- جمع ولده الدكتور أحمد مقالاته ضمن كتاب أطلق عليه «جارميات»، صدر عن دار الشروق سنة ١٩٩٢، الطبعة ١.
- له ترجمة موجزة في مختارات من الشعر العربي في القرن العشرين ٣/٤٠٥ الصادر عن مؤسسة جائزة البابطين.

وسرتِ كالحلم في أجفان غانيةٍ
ونشوة الشوقِ في نجوى المحبّينا
ويحي على خافقٍ في الصدر مُحتبسٍ
يكاد يطفر شوقاً حين تسرينا
مَرّتْ به سنواتٌ ما بها أَرَجٌ
من المنى، فتمنّى لو تَمرّينا!

✡✡✡✡✡

نبّهتِ في مصرَ قُمْريّاً بمُعشِبةٍ
من الرياض كوجه البِكرِ تلوينا
فراح في دوحه، والعودُ في يدهِ
يردّد الصوتَ قُدسيّاً فيُشجينا
صوتٌ من الله تأليفاً وتهيئةً
ومن حفيف غصون الروضِ تلحينا
يطير من فَنَنٍ ناءٍ إلى فننٍ
ويبعث الشدوَ والنجوى أفانينا
يا شاديَ الدوحِ، هل وعدٌ يُقرّبنا
من الحبيب، فإن البعدَ يُقصينا؟
تشابهتْ نَزَعاتٌ من طبائعنا
لما التقتْ خطراتٌ من أمانينا
فجاء شعريَ أنّاتٍ مُنغّمةً
وجاء شعرُكَ غَمْرَ الدمعِ مَحزونا
شعرٌ صدحنا به طبعاً وموهبةً
وجاش بالصدر إلهاماً وتلقينا
والنفسُ إن لم تكن بالشعر شاعرةً
ظنّتْه كلَّ كلامٍ جاء موزونا
تعزَّ يا طيرُ، فالأيامُ مقبلةٌ
ما أضيقَ العيشَ لو عزَّ المعزّونا!

خــذِ الحــيــاةَ بــإيمــانٍ وفــلــســفــةٍ

فــربّ شــرٍّ غــدا بــالخــيــر مــقــرونــا

فــكم وزنّــا فــمــا أجــدتْ مــوازنــةٌ

في صفحة الغيبِ ما يُعيي الموازينا!

الــكــونُ كــوَّنه الــرحــمنُ من قِــدَمٍ

فــهل تــريــد له يــا طــيــرُ تــكــويــنــا؟!

إن المــنى لا تُــواتي من يــهــيم بــهــا

كــالــغِــيــد مــا هَــجَــرتْ إلا المــلــحّــيــنــا

تــبــكي وبــين يــديكَ الــزهــرُ من عــجبٍ

والأرضُ تــبــراً وروضــاتُ الــهوى غِــيــنــا؟

والمــاءُ يــســبح جــذلانَ الــغــديــرِ إلى

مــنــابتِ الــعشبِ يُــحــيــيــهــا فــيُــحــيــيــنــا؟

والــزهــرُ يــنــظــر مــفــتــونــاً إلى قــبسٍ

يُــطلّ بــين ثــنــايــا الــسحبِ مــفــتــونــا؟

قــد حــزتَ مــلكَ ســلــيــمــانٍ ودولــتهِ

لكَ الــريــاحُ بمــا تــخــتــار يــجــريــنــا

مــا أجملَ الــكونَ لــو صحّتْ بــصــائــرُنــا

وكــيف نُــبــصــر حــسنَ الــشيءِ بــاكــيــنــا؟

الــلــهُ قــد خــلــق الــدنــيــا لــيُــســعــدَنــا

ونــحن نمــلــؤهــا حــزنــاً وتــأبــيــنــا!

☆☆☆☆☆

إن جُــزتَ يــومــاً إلى الــســودان فــارعَ له

مــودّةً كــصــفــاء الــدُرِّ مــكــنــونــا

عــهــدٌ له قــد رعــيــنــاه بــأعــيــنــنــا

وعــروةٌ قــد عــقــدنــاهــا بــأيــديــنــا

ظلُّ العروبةِ والقرآنِ يجمعنا
وسلسلُ النيلِ يرويهم ويروينا
أشعَّ في غلس الأيامِ حاضرُنا
وضاءَ في ظلمة التاريخِ ماضينا
مجدٌ على الدهر، فاسألْ من تشاء بهِ
عَمْراً إذا شئتَ، أو إن شئتَ آمونا

✲✲✲✲

تركتُ مصرَ وفي قلبي وقاطرتي
مراجلٌ بلهيب النارِ يغلينا
سرنا معاً فبخارُ النارِ يدفعها
إلى اللقاء، ونارُ الشوق تُزجينا
تشقّ جامحةً غُلْبَ الرياضِ بنا
كالبرق شقَّ السحابَ الحفَّلَ الجُونا
وللخمائل في ثوب الدجى حَذَرٌ
كأنها تتوقّى عينَ رائينا
كأنّهنَّ العذارى خفنَ عاذلةً
فما تعرّضنَ إلا حيث يمضينا
وللقُرى بين أضغاثِ الكرى شبحٌ
كالسرّ بين حنايا الليلِ مدفونا
نستبعد القربَ من شوقٍ ومن كلفٍ
ونستحثّ وإن كنّا مُجدّينا
وكم سألنا وفي الأفواه جابتُنا
وفي السؤال عزاءٌ للمشوقينا
وكم وكم مَلَّ حادينا لجاجتَنا
وما علينا إذا ما ملَّ حادينا

حـــتى إذا مـــا بـــدت «أســـوانُ» عن كـــثبٍ
غـنّى بـحـمـد الـسُّرى والـلـيلِ سـاريـنـا

☆☆☆☆☆

ومـــا شـــجـــانيَ إلا صـــوتُ بـــاخـــرةٍ
تـسـتـعـجل الـركبَ إيـذانًـا وتـأذيـنـا
لـــهـــا تـــرانـــيمُ إن ســـارت مـــهـــمـــهـــمـــةً
كـالـشـعـر يُـتـبِع بـالـتـحـريك تـسـكـيـنـا
يـا حـسـنَـهـا جـنّـةً في المـاء سـابـحـةً
تـلـقى الـنـعـيمَ بـهـا والحُـور والـعِـيـنـا
مَـرّتْ تَـهـادى، فـأمـواجٌ تُـعـانـقـهـا
حـيـنـاً، وتـلـثم من أذيـالـهـا حِـيـنـا
والـنـخلُ قـد غَـيّـبتْ في الـيمّ أكـثـرَهـا
وأظـهـرتْ سَـعَـفـاً أحـوى وعُـرجـونـا
مـا لابـنـةِ الـقـفـرِ والأمـواه تـسـكـنُـهـا؟
وهل يُـجـاور ضبُّ الحـرّةِ الـنُّـونـا
سِـرْ أيـهـا الـنـيلُ في أمنٍ وفي دعـةٍ
وزادكَ الـلـهُ إعـزازاً وتـمـكـيـنـا
أنتَ الـكـتـابُ كـتـابُ الـدهـرِ، أسـطـرُهُ
وعتْ حـوادثَ هـذا الـكـونِ تـدويـنـا!
فـكم مـلـوكٍ عـلـى الـشـطّـين قـد نـزلـوا
كـانـوا فـراعـينَ أو، كـانـوا سلاطـيـنـا
فـنـونُـهـم كنَّ لـلأيـام مُـعـجـزةً
وحـكـمُـهـم كـان لـلـدنـيـا قـوانـيـنـا
مَـرّوا كـأشـرطـة «الـسـيـمـا» ومـا تـركـوا
إلا حـطـامـاً من الـذكـرى يُـؤسّـيـنـا